الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

إيديولوجيا العلمانية في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر (ل. م. د)
في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- عتيق زيد نصيرة
- دايخة سليمة

إشراف الدكتور:
عبد الرشيد هميسي

السنة الجامعية: 1438–1439هـ* 2017–2018 م

قال تعالى :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ
الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ
الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

سورة البقرة الآية 120

الإهـــــداء

إلى من لا يطيب الحياة إلا بذكره وعبادته .. من وفقني في جميع الخطوات .. ولبّى ما في قلبي من دعوات من عالي سبع سموات .. جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. وهدى الأمة .. نبي الرحمة .. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب .. إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة ..

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم .. ياسندي وقوتي

إلى من أحمل أسمه بكل إفتخار.. إلى القلب الكبير (والدي العزيز)

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب، الحنان و التفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب (والدتي العزيزة)

إلى من كنا حضنا لأحزاني وأفراحي .. شقيقاتي رياحين حياتي ومهجه الروح

إلى القلوب الرقيقة .. إخوتي الأعزاء تاجي المرصّع

إلى كل أفراد أسرتي حفظهم الله لي.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلو بالأخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء .. إلى من رسموا من الدمع ألف إبتسامه .. ينابيع الصدق ورفقاء الدرب بهنائه وشقاءه

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي ...

لكم أهدي ثمرة كفاحي و جهدي .

نصيرة

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

نحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على إنجاز هذا الواجب و وفقنا في إنجاز هذا العمل

وإعترافا بالفضل لأهله فإننا نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذنا الكريم والمشرف على عملنا هذا "الدكتور عبد الرشيد هميسي" والذي كان سندًا ومرجعاً لنا طوال فترة إنجاز هذا العمل لك منا كل الثناء والتقدير.

كما نتوجه بالشكر إلى كل من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى العبارات في العلم إلى أساتذتنا الكرام .

ونتوجه بجزيل الشكر والإمتنان أيضاً إلى اللذين سعوا وشقوا لننعم بالراحة والهناء، اللذين لم يبخلاء بشيء من أجل دفعنا في طريق النجاح، اللذين علمانا أن نرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما .

وفي الختام نشكر كل من ساعدنا وساهم في إعانتنا على هذا البحث و وقف جنبنا لتخطي هذه الصعوبات التى مررنا بها، لكم منا جزيل الشكر .

نصيرة وسليمة

ملخص البحث

تناول هذا البحث إيديولوجيا العلمانية من حيث مفهوم المصطلح وتطوره ومناخه، ووسائل العلمانية وآثارها. يعد تيار العلمانية من التيارات الغربية التى نازعت الرواية العربية المعاصرة ، وهذا مامثلته رواية مملكه الفراشة لواسيني الأعرج، والتى حاولنا من خلالها الوقوف على أهم عتبات العلمانية ومبادئها التى جسدتها هذه الرواية ؛ إذ تسجل رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج ضمن الروايات التي تحمل طابعا فكريا للمذهب العلماني ،بحيث تبرز أيدلوجية الكاتب العلمانية.

الكلمات المفتاحية:

الإيديولوجيا، العلمانيّة، رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج.

Abstract

This research deals with the ideology of secularism with regard to the concept of the term, its development, and the means and effects of secularism. Secularism is one of the Western trends that has interfered with the contemporary Arab novel. This is manifested in Wassini Laaradj's *Mamlakat Alfarasha* (Butterfly Kingdom), in which we tried to identify the most important pillars of secularism and its principles embodied in this novel. Mamlakat Alfarasha is one of the novels that bear the intellectual identity of the secular doctrine, it also reveals the secular ideology of the writer.

Key words:

ideology, secularism, Wassini Laaradj's *Mamlakat Alfarasha* (Butterfly Kingdom)

خطـــــــــــة البحث

مقدمة.

- المدخل : الإيديولوجيا والرواية.
- الفصـــــــل الأول : العلمانية : الماهية – المناخ – الآثار.
- المبحث الاول : مفهوم مصطلح العلمانية وتطوره.

1- مـــــــــــاهية العلمانيـــــــــــة.

1- لغـــــــــــــــة.

2- اصطلاحـــــــــــــا.

2- العلمانية بين أزمة المصطلح و تطور المفهوم.

1- أزمـــــــــــــة المصطلـــــح.

2- تطور العلمانية من حيث علاقتها بالدين.

- المبحث الثاني: مناخ العلمانية.

1- نشـــــــــــــــأة العلمانية.

2- اسباب دخولها إلى العالم الاسلامي.

3- مبـــــــــــادئهـــــــــا.

- المبحث الثالث:وسائلها وآثـــــــــــارها.

1- وســـائل العلمانية في نشر مذهبها.

2- آثـــــــــار العلمانية على الغرب.

3- آثار العلمانية على العالم الإسلامي.

الفصـــــــل الثاني : حضور العلمانية في رواية مملكة الفراشة

- المبحث الأول : العلمانية ومنتجاتها الفكرية.

1- تحريف الحقائق.

2- القيم والسلوكات متوائمة مع الحياة المعاصرة.

3- إحياء النعرات الجاهلية وتغني بالوثنيات.

- المبحث الثاني: صراع العلمانية مع الدّين.

1- الإسلام المعدّل على مزاج العلمانية.

2- الإسلام منزوع القداسة.

3- إضعاف الدّين في القلوب وعزله عن الحياة.

4- التلون بلوّن الشرع الإسلامي.

- خاتمة.

مقدمـــة

مقدمة:

يعتبر مفهوم العلمانية من المفاهيم الغربية، التي إتخذت حيزا واسعا من الإهتمام والتي تم معالجتها وكان ذلك إبان عصر النهضة الأوروبية. حيث جاء مفهوم العلمانية معارضا للسيطرة والهيمنة التي كانت تمارسها الكنيسة على مختلف مجالات الحياة في أوروبا(السياسية، الثقافية، الإقتصادية،والروحية...إلخ) فنادت العلمانية بفصل الدين عن الدولة ودعت إلى مواجهة الكنيسة والقضاء على سلطتها وطغيانها على المجتمع والدولة.

كان ذلك في دائرة الفكر الغربي، وما لبث هذا أن انتقل إلى دائرة الفكر العربي والكتابات الفكرية السياسية العربية منذ القرن 19وبداية القرن العشرين، حتى مدت العلمانية جذورها في جميع المجالات(السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية... وحتى الأدبية).

لقد تنازعت الرِّواية العربية المعاصرة تيارات عدَّة ، ومن بين هذه التيارات تيار العلمانية ، الذي مثَّلته بعض روايات واسيني الأعرج ، الأمر الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع ؛ إنّ إهتمامنا بإيديولوجيا العلمانية وهي تَمْثُل في إحدى روايات واسيني الأعرج أغرانا بأن نخوض غور هذا البحث ، إن شُهرة كتابات الأعرج وإتساع مقروئيتها مع ماتحمله من حموله إيديولوجية مخالفة لما عندنا دفعنا أيضا إلى تقصِّي المسألة .

إن الإشكالية الأم التي تأسس عليها بحثنا هي : كيف وفيم تجلَّت إيديولوجيا العلمانية في رواية مملكة الفراشة ؟ ومامدى تجليها ؟

ومن هذه الإشكالية المحورية تكونت أسئلة اخرى:

-ما العلمانية؟ وكيف نشأت؟ وماهي مبادئها وآثارها؟

-ماهي المضامين العلمانية التي إختارها وسيني الأعرج لتوظيفها في روايته؟

- كيف جسد الأعرج صراع الدين مع العلمانية ؟

لقد طرقتْ موضوع العلمانية عدّةُ كتب درست هذا الموضوع من جوانب عدّة منها الدراسات في هذا المجال، فقد طرح دكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله في كتابه العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، نظرته إلى العلمانية، وقسمها إلى قسمين: جزئية وشاملة.

وكتاب الإسلام والعلمانية وجها لوجه للدكتور يوسف القرضاوي. تعرض فيه للرد على بعض شبهات العلمانيين، كما وضح معالم الإسلام الذي ندعو إليه.

كما تحدث كتاب العلمانية بين الغرب والإسلام، للدكتور محمد عمارة، عن وفود العلمانية إلى دار الإسلام، والأصول الإسلامية لرفض العلمانية.

وتطرقت رسالة ماجستير العلمانية، للدكتور سفر الحوالي، بالتفصيل لنشأة العلمانية، وصورها المختلفة في حياة الإنسان، وبين عدم وجود مبرر للعلمانية في بلادنا الإسلامية.

إن جميع هذه البحوث تناولت العلمانية من جهة مفاهيمها وتنظيراتها وأفكارها ومبادئها .

إن الجديد في هذا البحث، هومحاولته رصد تمثلات إيديولوجيا العلمانية في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج .

وقد اتبعنا أثناء دراستنا لهذا الموضوع المنهج الوصفي التحليليلانه الأنسب ؛ فلقد ساعدنا هذا المنهج على رصد تجليات العلمانية في الرّواية ومن ثمَّ تجلياتها للخلوص إلى نتائج منطقية و مُرْضية .

وكانت الخطة المتبعة وفق تلك الإشكالية على النحو التالي:

- مدخل تناولنا فيه الإيديولوجيا والرواية.

- الفصل الأول: جاء بعنوان العلمانية: الماهية- المناخ- الآثار

وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث ، تناولنا فيها مفهوم مصطلح العلمانية وتطوره ، أسباب نشأتها في الغرب و عند العرب أيضا مبادئها ، و كذا وسائلها وآثارها .

- والفصل الثاني: أخذ عنوان حضور العلمانية في رواية مملكة الفراشة .

وقد اعتمدنا في هذا على رد المقاطع المستخرجه من الرواية لمبادئ العلمانية التى قسمناها إلى مبحثين ، الأول إحتوى على مبادئ العلمانية ومنتجاتها الفكريه ، اما المبحث الثاني فكان لصراع العلمانية مع الدين .

وقد اعتمدنا في بحثنا على عدة مصادر ومراجع أهمها: (سقوط العلمانية) أنور الجندي، (دراسات إسلامية) سيد قطب، (العلمانية جذورها وأصولها) محمد علي البار، (العلمانية تحت المجهر) د.عبد الوهاب المسيري- د.عزيز العظمة.

ولأن لكل بحث عقبات، فإن بحثنا هذا لقى أربعا منها:

. تضارب الآراء واختلافها حول العلمانية .

. تشعب مبادئ العلمانية ووسائلها ومناخاتها.

. صعوبة رد المقاطع المستخرجة من الرواية إلى المبدأ المقصود .

. ضغط الوقت و عمق موضوع العلمانية واتساعه وحجم الرواية الكبير .

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر والتقدير، لأستاذنا الفاضل الدكتور عبد الرشيد هميسي، على إشرافه إذ لم يبخل علينا بنصح أو توجيه أو إرشاد.

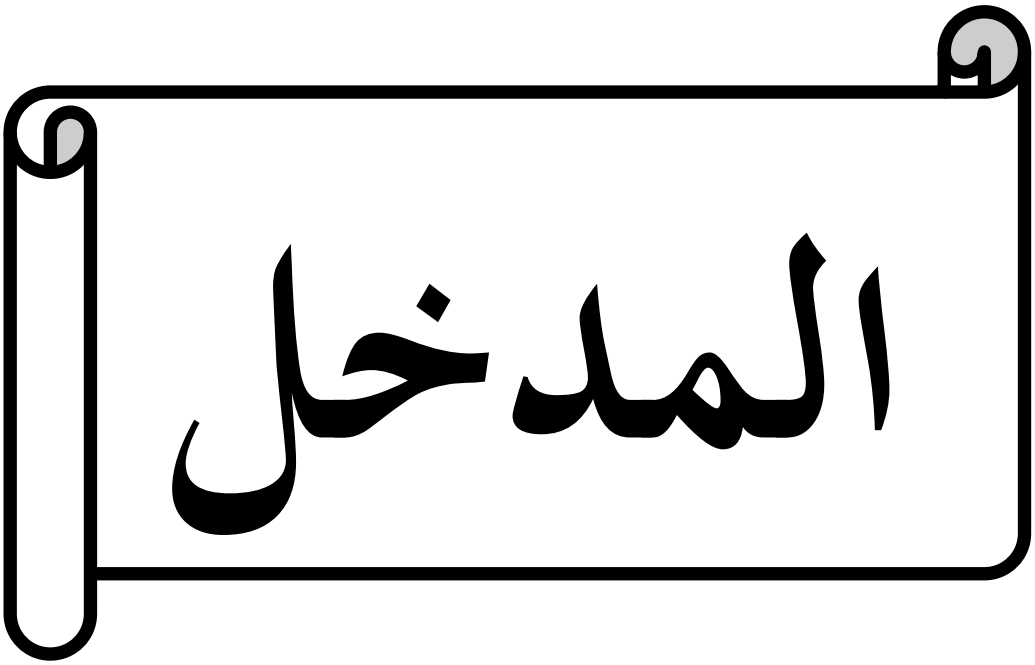
المدخل

الإيديولوجياوالرواية

يصعب تحديد مفهوم الإيديولوجيا لتشعبها وتشابك علاقاتها وتجلياتها مع الكثير من الظواهر الإجتماعية والسياسية والفلسفية والفكرية والمعرفية حتى يمكن القول أنه من الصعب تحديد مفهوم الإيديولوجيا وإعتماد تعريف واحد جامع مانع لها.

يعود ظهور لفظ الإيديولوجيا إلى المفكر الفرنسي أنطون دي تراسي (1754-1836) في كتاب له بعنوان تخطيط العناصر الإيديولوجية، وقد كان يهدف من ورائه تأسيس علم جديد وهو علم الأفكار. وقد قسم عبد الله الكندي هذا المصطلح إلى Idéa ومعناها فكرة و Logos ومعناها علم لتكون الترجمة الدقيقة هي "علم الأفكار".[1]

ومن أهم تعاريف الأقرب إلى الشمولية والمعقولية ماورد في كتاب ناصيف نصار يحدد مفهوم الإيديولوجيا في كتابه "طريق الإستقلال الفلسفي" الذي يقول في مضمونه " إن الإيديولوجيا نظام من أفكار إجتماعية يرتبط بمصلحة جماعية معينة وبشكل أساس لتحديد أو تبرير فاعليتها الإجتماعية في مرحلة تاريخية معينة "[2] بمعنى أن الإيديولوجيا تنحاز في تفكيرها إلى مصلحة الجماعة التي تمثلها في إطار إجتماعي، إذ الفكر الإيديولوجي تتعلق قضاياه بواقع الحياة الإجتماعية ومشكلاتها الجماعية أو الإقتصادية أو السياسية والثقافية، ومنه فإن ماهية الفكر الإيديولوجي ماهية إجتماعية كونها تخدم مصلحة جماعية معينة متفاعلة فيما بينها يقول ناصيف: " وما الإيديولوجيا سوى شكل من أشكال تعبير الجماعة عن فعاليتها "[3] وذلك معناه أنّ التفكير الإيديولوجي مرتبط بالمنفعة والمصلحة التي على تلك الجماعة كما تراه هي مناسبا لها.

إذن التفكير الإيديولوجي تفكير غائي نفعي بالدرجة الأولى يسعى فيه المفكر إلى الدفاع عن جماعته ويعني بذلك تحقيق مأربها بأي وسيلة كانت والطريق إلى ذلك يمر بجدلية الإقناع والإكراه والبرهان والإيمان

[1] – ينظر: يعيش حرم خزار وسيلة ، تدريس علم الإجتماع بين العلوم والأيديولوجيا، رسالة ماجستير، إشراف د:غراس محمد، جامعة منتوري، قسنطينة،2001، ص19.

[2] – ناصيف نصار، طريق الإستقلال الفلسفي، سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع دار الطبيعة الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1975،ص43.

[3] – نفسه، ص44.

ومايسمى بمنطق الدعوة " فالفكرة الإيديولوجية ليست وليدة العقل وحده وإنما وليدة العقل والشعور والخيال والإرادة والنزعة الباطنية "[1] أي أنها وليدة الذات الإنسانية بكل قواها.

ومنه فإنّ الإيديولوجيا بشكل عام هي مجموعة من الأفكار صنعها شخص ما بمكان ما أو مجتمع ما بلحظة تاريخية معينة ووجدت هذه الأفكار إستجابة من الناس. فآمنوا بها لأنها تخدم الواقع الذي يعيشون فيه وصاروا يتصرفون على أساسها وينظرون إلى الواقع من خلالها ومع الوقت تصبح هذه الأفكار من المسلمات تمشي بالدم لا يناقشها الإنسان ولا يبحث فيها.

ورد في كتاب "مفهوم الإيديولوجيا" لعبد الله العروي مفاهيم متباينة لهذا المصطلح قسمها الكاتب إلى ثلاث أنماط وهي كالتالي:

1-نمط سياسي -2-نمط إجتماعي -3-نمط معرفي .

فكل نمط من هذه الأنماط تحمل دلالة معينة لمصطلح الإيديولوجيا إذ يراها العروي " أن الأدلجة في القناع وفي معنى رؤية كونية وفي معرفة الظواهر"[2] يفسرها كالآتي:

الإيديولوجيا كقناع أو كنسق سياسي: وهي "نظام من الأفكار الوهمية تتضمن تقريرات وأحكام ما حول المجتمع عن مصلحة وتهدف إلى إنجاز عمل معين وتقود إلى نظرية نسقية فيما يتعلق بالقيم".[3] بمعنى أنها أيديولوجية تتصل بالنضال السياسي وخاصة الحزبي منه، لكسب أكبر عدد ممكن من الأنصار وإخفاء مصالحها الحقيقية بالنسبة لخصومها وعموما فهمي تتقنع للتمويه وهدفها كشف الحقائق لمعتنقيها. في حين تخفي نواياها الحقيقية على خصومها.

الإيديولوجيا كرؤية كونية: " تحتوي على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون تستعمل في إجتماعات الثقافة لإدراك دور من أدوار التاريخ، وتقود إلى الفكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرجوع

[1] - السابق ، ص44.

[2] -عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، لبنان ، بيروت، ط7، 2003م، ص13.

[3] - نفسه، ص13.

إلى التاريخ لقصد التحقق عبر الزمن "[1]، أي أنها ذلك النمط الإيديولوجي الذي يحمل رؤية حقيقية للواقع، كما يسعى لأن يعتنقها جميع الناس.

الإيديولوجيا كمعرفة أو كنسق إبستمولوجي: "هي ذلك النظام الفكري الواعي الذي يسعى إلى معرفة الظاهرة الآنية والجزئية مجاله نظرية المعرفة ونظرية الكائن... ويعود هذا الإستعمال حتما إلى النظرية الجدلية..."[2]. بمعنى أنها نمط فكري علمي معرفي مهمتها البحث في ماهية الكون والكائن الإجتماعي.

تعتبر الرواية من أهم الفنون الأدبية المعبرة على الواقع حيث تتداخل فيها وتتصارع مجموعة من الإيديولوجيات لتُكَوِّنَ نِتاجا أدبيا بطريقة فنية رائعة، فإنطلق بيار ماشيري من تصور جديد لعلاقة الرواية بالإيديولوجيا في كتاب له موسوم ب: " من أجل نظرية للإنتاج الأدبي " حيث ركز في البحث عن علاقة الإيديولوجيا في الرواية على مفهوم المرآة العاكسة، أي أنّ النص الروائي هو عبارة على مرآة تعكس لنا الواقع والتناقضات الحاصلة فيه كذلك السيرورة التاريخية، ولإبراز علاقة الكاتب بهذه التناقضات الحاصلة في الواقع يجب دراسة التناقضات الداخلية لمؤلفاته والعلاقات الجدلية التي تحكمها.

وحسب ماشيري فإن النص يمثل بنية مكونة من مجموع متغيرات معقدة وهذا ما قاده إلى الإعتقاد بأن " صورة الواقع كما تمثلها مرآة النص لا ينبغي البحث عنها في الواقع بل في الشكل الذي تم رسمه داخل المرآة "[3]. ويعني ذلك أن النص مهما تحلى بالواقعية فإن معطياته تبقى جزئية لا تعكس الحقيقة الكلية للمسار التاريخي.

ومن هنا فإن التأويل البرجوازي لأعمال تولستوي له ما يدعمه ويبرره لكونه نصا مشحونا بالتناقضات إذ يتضمن إيديولوجيتين مختلفتين، والرواية لم تنحز لأي واحدة منها، وتبقى إيديولوجية خفية تتحرك بسرية داخل النص ولا يعبر عنها[4] بصفة مباشرة.

---

[1]- المرجع السابق، ص13

[2] – عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، ص13

[3] – ينظر لحمداني حميد، النقد الروائي والإيديولوجي، من سوسيولوجيا الواقع إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص25.

[4] – نفسه، ص27.

فمن خلال ماذكر سابقا يتضح لنا كيفية دخول الإديولوجيا إلى عالم الرواية وتعتبر عنصرا فاعلا في بناءها فهي إذن مادة أولية قبل السرد يقوم عليها العمل الروائي فقد ذهب نصر حامد أبوزيد في قوله " إنّ المكون الإيديولوجي يمثل عصب الرسالة المتضمنة في أي إتصال لغوي "[1] وتعليل هذا إنّ مبنى الرواية جاء مُعضِّدا لمعناها ومعناها سابق في الوجود على عملية البناء ذاتها، بحيث تأتي إثره الأحداث والشخصيات والحبكة والحوار والوصف وغيرها من العناصر والمكونات تخدم الغرض الإيديولوجي بحيث تسرد المفاهيم[2]، وماينبغي التنبيه إليه إلى أنّ " النص لا يخلق إيديولوجيا ولا يلونها، ولا يسهم في إغنائها، إنه هنا بإعتباره ذريعة أو سندا لعرضها عبر صبّها في تجارب محسومة (ووضعيات إنسانية ممكنة الإدراك) وهذه التجارب نفسها يجب إنتقائها وفق متطلبات الجهاز المفهومي أي وفق مايضمن نقاء الإيديولوجيا وصفاءها"[3] وهذا الأمر يؤدي إلى إساءة قراءة النص وتأويله تأويلا خاطئا، لأن كل جماعة من القراء تعزل من النص سواء بوعي أو غير وعي، مايتماشى وتصورها الخاص وتلغي الباقي.

ومن الأفكار الجديدة التي يقدمها (ماشيري) وهو بصدد ترسيخ الأسس النظرية الإيديولوجية للرواية. نجد في الدرجة الأولى أنّ الإيديولوجيا كونها عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي بإعتبارها مادة أولية تقوم عليها الحبكة الفنية، ونجد بالدرجة الثانية صوت المبدع لهذا النص الروائي والذي لا يعبر بالضرورة عن وضعية الكاتب "فيحكم أنّ الإيديولوجيا هي غير وضعيته بالضرورة (لأن فيها طموحات لم تتحقق في الواقع) فإنها هي التي تحدد شروط المتكلم في النص"[4] ونأخذ بهذا الصدد قول ماشيري "إنّ المرآة تعبيرية، لأنها لا تعكس، أكثر مما هي تعبيرية لأنها تعكس"[5] فيفهم من هذا القول أنّ المرآة لو كانت تعكس الواقع كما هو لم يعد للنص الروائي أي قيمة دلالية لأنه سيكتفي بنقل الواقع كما هو.

[1] – ينظر، نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، لبنان،بيروت ، ط4، 2004 م ، ص99 .

[2] – ينظر،عبد العالي زغليط، الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة دكتواه، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة سطيف، 2017/2016م ، ص194.

[3] – سعيد نبكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، المغرب ، الرباط، ط1، 1996م ، ص58.

[4] – حميد لحميداني، النقد الروائي للأيديولوجيا، ص28.

[5] – نفسه، ص29.

ونستخلص مما سبق أنّ تعدد الإيديولوجيات وتصادمها داخل النص الروائي تكون قد كونت محتوى هذا النص وبنائه بشكل فني متماسك " هذه الإيديولوجيا هي تلك الموافق والرؤى والأفكار التي تعج بها الرواية بل هي تلك الطريقة الخاصة التي وظّفت بها وماينجم عن كل ذلك من إختلافات في المواقف تؤدي إلى الصدام في نهاية المطاف"[1] إذن فالرواية هي الوعاء الحاضن للفكر الإيديولوجي للأديب ونظرته للمجتمع والعالم.

الرواية كإيديولوجيا: إنّ الحديث على الرواية كإيديولوجيا يدفعنا إلى إستقراء تلك الصراعات والتناقضات الإيديولوجية التي يعج بها النص الروائي فعند ماتنتهي هذه الصراعات تبدأ المعالم الأولى للنص الروائي بالظهور للعيان، والرواية كإيديولوجيا تعني موقف الكاتب بالتحديد، وليس موقف الشخصيات المتضاربة في النص الروائي، ومن هنا يمكن القول أنّ تناقضات هاته الشخصيات لا تمثل إلاّ دورا تشخيصا ذا طابع جمالي من أجل تصور شمولي وكلي وهو تصور الكاتب.[2]

فلا يمكن فهم رؤية الكاتب إلاّ بعد إستيعاب حقيقة الصراع بين الإيديولوجيات المختلفة داخل النص. أي أنّ الكاتب لا تتضح رؤيته إلا بعد إنتهاء صراع الإيديولوجيات داخل النص لأن الكاتب دوره في الرواية مشاكسة الإيديولوجيات ومعرفة حدود كل واحدة منها وعند إنتهاء عمله تتضح رؤيته للرواية.[3] ومن هنا يمكن القول أنّ الإيديولوجيا أي الإيديولوجيا داخل الرواية تتصل بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا هي تصور الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة نفسها.

ولكتابة أي عمل أدبي وخاصة العمل المروائي لابدّ من وجود عدة إيديولوجيات متناقضة لتكوين هذا العمل الأدبي لأن الحد الأدنى لكتابة الرواية يستلزم وجود صراع عنصرين متناقضين على الأقل إلا أنّ هذا التحديد ليس علميا فالقي لروائي مفتوح على شتى الإيديولوجيات السائدة والمتعارضة في المجتمع، ومنه فإنّ الرواية تكتب ضمن مجالين إيديولوجيين أو مجال إيديولوجي واحد .

[1] – إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، تشكل النص الروائي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الكتاب، الجزائر، ط1، 2005 م ، ص57.

[2] – ينظر، حيد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص35.

[3] – نفسه، ص36.

وقد عبر على هذا الرأي محمد كامل الخطيب يقول:

1.. رواية تكتب ضمن مجالين إيديولوجيين هما: الإيديولوجيا السائدة و إيديولوجية الكاتب، وهذا يحدث عندما يتناقض الكاتب مع الإيديولوجية السائدة مثل هذه الرواية تكون جزءا أو مظهرا من مظاهر المعارضة الإيديولوجية السائدة .

2..رواية تكتب ضمن مجال إيديولوجي واحد، هو الإيديولوجيا السائدة وهذا مابعد عندما يتوافق الكاتب مع الإيديولوجية السائدة ويكون أحد نتائجها ومنتجيها، ومثل هذه الرواية تكون جزءا أو مظهرا من مظاهر الإيديولوجية السائدة.[1]

ومعنى ذلك أنّ الرأي الأول كما قلنا سابقا لابدّ من وجود إيديولوجيتين مختلفتين لتكوين نتاج روائي والرأي الثاني أن الكاتب يعتمد على إيديولوجية واحدة لكتابة الرواية فهذا مستحيل التحقيق خاصة أننا في صدد إنتاج رواية. لأن إيديولوجيا واحدة لا يمكن أن تعبر عن نفسها إلا إذا وجدت إيديولوجيا معارضة لها.

وعلى العموم أن الإيديولوجيا عندما تدخل إلى المتن الروائي تكون كعنصر جمالي يعبر به الكاتب عن إيديولوجيته الخاصة ولذلك نقول أنّ الرواية بإعتبارها إيديولوجيا لا تتأسس إلا بواسطة الإيديولوجيات في الرواية.

وهكذا فإنّ الرواية لا تتحول إلى إيديولوجيا إلاّ "عبر صراع الإيديولوجيات وعبر التعارضات التي توجد في كل إيديولوجية على حدة، هذا الصراع الذي يشكل مجموع بنائها العام"[2]. وعليه يتولد عن تفاعل الإيديولوجيات داخل النص الروائي موقف الكاتب الإيديولوجي أي كان توجهه سياسيا أو معرفيا ورؤيته للعالم.

وخلاصة الكلام أن الرواية كإيديولوجيا هي موقف الكاتب بالتحديد الذي يتحدد إلاّ بعد الإنتهاء من قراءة الرواية كاملة.

[1] – محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، لبنان ، بيروت، ط1، 1981م ، ص108.

[2] – حميد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص39.

الفصـــــل الأول

العلمانية : الماهية – المناخ – الآثار.

- المبحث الاول : مفهوم مصطلح العلمانية وتطوره.

1- مـــــــــــاهية العلمانيـــــــــــة.

1- لـــــــــغـــــــــــــة.

2- اصطـــــــلاحـــــــــــا.

2- العلمانية بين أزمة المصطلح و تطور المفهوم.

1- أزمـــــــــــــة المصطلـــــح.

2- تطور العلمانية من حيث علاقتها بالدين.

- المبحث الثاني: منـــــــــاخ العلمانية.

1- نشـــــــــــــــأة العلمانية.

2- أسباب دخولها إلى العالم الاسلامي.

3- مبـــــــــادئهـــــــــا.

- المبحث الثالث:وسائلها وآثـــــــــارها.

1- وســـائل العلمانية في نشر مذهبها .

2- آثـــــــــار العلمانية على الغرب.

3- آثار العلمانية على العالم الإسلامي.

المبحث الأول: مفهوم مصطلح العلمانية وتطوره.

1- ماهيـــة العلمانيـــة:

1. لغـــــــة:

كلمة (عَلمانية) هي ترجم لكلمة (سكيولاريزم Secularism) التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية . والكلمة مشتقه من الكلمة اللاتينية (سيكولوم Saeculum) وتعني (العصر) أو (الجيل) أو (القرن) . اما في لاتينية العصور الوسطى فإن الكلمة تعني (العالم) أو (الدنيا) مقابل الكنيسة.[1]

توجد في المعجم العربي ترجمات مختلفة بين (العِلم أو العَالم) للمصطلحين الإنجليزي (سيكولار Secularis) والفرنسي (لائيك Laïcit) . [2]

هل مصدر العلمانية العِلم أم العَلم (العَالم) ؟

أمَّا "العِلمانية" (بكسر العين) نسبة إلى العِلم.

العِلْمُ :نقيض الجهل ، عَلِمَ عِلْماً ، عَلُمَ هو نفسه ، ورَجلٌ عَالِمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ ، عُلَماء فيهما جميعاً . قال سِيبَوْيْه : يَقُولُ عُلَماءُ مَن لا يَقول إلا عالِمٍ .

"العَلمانية" (بفتح العين) نسبة إلى "العَلم" بمعنى "العَالم".[3]

العَلَمُ :العلامَةُ والعلمُ :الجبلُ الطويلْ.

العَالَمِ واحِدَ لِلعالَمِ مَن لَفظِهِ ، لأنَّ عالَماً جَمْعُ أشْياءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فإن جُعِلَ عالَمٌ اسْماً لِواحِدٍ منها صارَ جَمْعاً

[1] – ينظر،عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، ط1، 2002م، ج1، ص53.

[2] – نفسه، ص61.

[3] – ابن منظور، لسان العرب ،(تح) عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر، القاهرة،1119، ص1383.

لأشياءَ مُتّفِقَةٍ ، والجمعُ عالَمُونَ ، و لا يُجْمَعُ شَيءٌ عَلى فاعَلٍ بالواوِ والنُّونِ إلا هذا ، وقيل جَمْعُ العالَمِ الْخَلْقِ الْعَوالِمُ .[1]

ومنه نرجح لفظ (العَالم) على (العِلم)، كما فعلت ذلك المعاجم العربية .

ولحداثة هذا المصطلح عندنا[2]، لا توجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة. وقد وردت في بعض المعاجم الحديثة كما يلي:

– جاء في المعجم الوسيط "العلماني: نسبة إلى العَلم بمعنى العالَم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي"[3].

– وجاء في معجم المعلم البستاني "العلماني: العامي الذي ليس بإكليريكي"[4]

وفي المعجم العربي الأساسي "عَلْمانيٌّ: منسوب إلى العَلْم(وهو العَالم): غير ديني"[5].

وفي قاموس المرام في المعاني والكلام: "العَلْماني: الذي ليس رجل دين"[6].

أما في معجم الإرشاد فالعَلْمانيُّ: "من يُعْنَى شؤون الدنيا، نسبة إلى العَلْم بمعنى العَالَم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي"[7].

أمّا في معاجم اللغة الإنجليزية كقاموس المورد. فقد أعطى كلمة (Secular) المعاني الآتية: "دنيوي، غير ديني، مدني، غير إكليريكي، علمي، غير قانوني، غير منتسب إلى رهبانية"[8].

---

[1] – السابق ، ص 1385.

[2] – مثل: لسان العرب لإبن منظور، أو القاموس المحيط للفيروز أبادي أو غيرها.

[3] – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية– الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نش،ج2،ص624.

[4] – بطرس البستاني، محيط المحيط، (بيروت/1867م)، ص1461.

[5] – المعجم العربي الإنساني، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب بتكلف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بدون تاريخ النشر ورقم الطبعة، ص861.

[6] – د.مؤنس رشاد الدين، قاموس المرام في المعاني والكلام، دار الراتب الجامعية، بيروت– لبنان، ط1، 2000م، ص591.

[7] – خليل توفيق موسى، معجم الإرشاد(معجم معاصر)، دار الإرشاد للنشر، ط1، 2001م، ص396.

[8] – منير البعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي–عربي، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط37، 2003م، ص827.

وأعطى كلمة (Secularism) الترجمة التالية:"الدنيوي: عدم المبالاة بالدين أو بالإعتبارات الدينية"[1].

وقد جاء في معجم أوكسفورد باللغة الإنجليزية: "علماني غير معني بالشؤون الروحية أو الدينية دينوي. وعلمانية: الإعتقاد بأن الأخلاق، التعليم، إلخ يجب أن لا تبنى على الدين".[2]

مما سبق، نرى أن المعاجم العربية إتفقت أن العلمانية منسوبة إلى(العَلم) بفتح العين لا كسرها، وقامت كل المعاجم بنسبتها إلى العالَم، وليس إلى العِلم، وترجمتها إلى العربية(عَلْمانية) هي "ترجمة مضلِّلة، لأنها توحي بأن لها صلة بالعِلم"[3].

2. اصطلاحـــــا:

نظرا لحداثة مصطلح العلمانية على اللسان العربي وإرتباطه بلغات أوربا وثقافتها كان لابد من التعرف على المعنى الإصطلاحي لهذا المصطلح من مظانه الغربية،لتتضح الترجمة الصحيحة ويزول الإشكال المتعلق بأبعاده ومنطلقاته وفلسفته.

كلمة العلمانية هي بفتح العين لا كسرها، فهي ليست منسوبة إلى العلم بل إلى العالم، والنسبة إلى العالم ينبغي أن تكون العَالمية ،ولكن العوج الألسنة وإنحرافها أدى إلى هذا التحريف الذي قد يكون معتمدا للإحاء بأن الكلمة منسوبة إلى العلم...ولوفرضنا أنها منسوبة إلى العلم لكانت النسبة العلمية وهي غير ذلك وهذا أول الغبش!

ولعل المعاجم الأجنبية تنجدنا لأن لفظة العلمانية ترجمة رديئة للفظ (Secularism) باللغة الإنجليزية أو اللائكية (Laique) وباللغة الفرنسية وكلمة (Secularism) تعني الدنيا أو العالم الآني (في مقابل العالم الآخر والغيبي والديني).وأصل الكلمة (Secularism) باللغة اللاتينية تعني العصر أو الجيل ولكنها تحولت في القرون الوسطى لتعني العالم أو الدنيا.أما كلمة موندوس(Mondos)

---

[1] – المرجع السابق، ص827.

[2] – Oxford Advanced Learner's Dictinoary, Oxford University Préss fourthedition .1989.pg.1143."secular not concerned with spiritual or religious , wordly .. secularism; belief that morality ; education ; et should not be based /on religion.

[3] – محمد قطب– ، مذاهب فكريه معاصره ، دار الشروق ، مصر، القاهرة ، ط 9 ،2001 م، ص 445.

ومنها كلمة موندیال فتعني العالم ویرادفها باليونانية كلمة كوزموس (Cosmos) بمعنى الكون أو العالم.[1]

1- تعريف دائرة المعارف البريطانية في إطار الحديث عن مفهوم العلمانية من مادتها الإشتقاقيةSecularism بأنها حركة إجتماعية تهدفها إلى صرف النّاس وتوجههم من الإهتمام بالآخرة ، إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت ال Secularism تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية.[2]

وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا، وظل الإتجاه إلى Secularism يتطور بإستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.[3]

2- جاء في قاموس العالم الجديد ويبستر شرح لنفس المادة في شقين :

– الشق الأول: الروح الدنياوية خاصة نظامه من مبادئ والتطبيقات practices يرفض أى شكل من أشكال الإيمان والعبادة وهذا اتجاه أحادي.

– الشق الثاني: إتجاه يفصل بين الكنيسة والسياسة ، وفيه اِعتقاد الدين وشؤون الكنيسة لادخل لها في شؤون الدولة وخاصة التربية العامة .[4]

3- وجاء في دائرة المعارف الامريكية في سياق الحديث عن العلمانية الدنيوية:

الدنيوية هي نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية، ومستقل عن الديانات السماوية، أو القوى الخارقة للطبيعة ، وأنّ المبدأ الأول هو حرية التفكير ... هناك نور وهداية في الحقيقة الدنيوية التي توجد ظروفها وفروظها بذاتها ولتعمل بحريّة إلى الأبد.[5]

[1] – محمد على بار، العلمانية جذورها و أصولها ، دار القلم، سوريا، دمشق ، الطبعة الاولى، 1429هـ، ص26.

[2] – يوسف القرضاوي، الإسلام والعلملنية وجها لوجه، مكتبة وهيبة، مصر، القاهرة، ط7، 146هـ ، 1996م ، ص 48، 49.

[3] – نفسه ، ص 48,49.

[4] – صالح الرقب، واقعنا المعاصر، الجامعة الإسلامية ،فلسطين، غزة، ط7، 2004م ،ص 68.

[5] – على جريشة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 1990م ، ص 75.

وهذا الإتجاه ينفي صلة الدين بالدنيا ولايعتبر الدين مصدر القيم والاخلاق ولا أساس لتجربة السياسية.

4- جاء في معجم علم الإجتماع المعاصر(Sociolgy Dictionary Modern) لتوماس هولت مايلي: علماني لها عدة معانّ منها : دنيوي غير روحي، غير ديني(غير مقدس) وكلمة علماني في الواقع ليست معاداة لدين بل " لا علاقة لها بالدين " " non –religious" وعلمانية: هي الاعتقاد والممارسات التي لا علاقة لها بالجوانب غير النهائية (أي غير الأخروية) للحياة الإنسانية (non ultumate)، ومن ثم فالعلمانية ليست معاداة للدين، ولا هي بديل للدين ، إنها مجرد قطاع واحد من قطاعات الحياة يهتم بماهو غير ديني ولا مقدس.[1]

والناظر في جل التعريفات يرى أنها جميعا تشير إلى رفض الدين كمرجع للإنسان والحياة سواء في الجوانب العلمية أو الجوانب العملية .

يقول الدكتور محمد عمارة : " العلمانية هي جل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم دونما تدخل من شرعية سماوية هي وحي من الله المفارق لهذا العالم".[2]

وهذا قد يكون نفيا لوجود الله أو نفيا لبعض صفاته كالرحمة و العلم و الحكمة و العبادة، و الإكتفاء بالإنسان وبعقله لتوجيه مسيرته منفصلا عن الخالق.

ويمكن مما سبق أنّ نستخلص مفهوم العلمانية هو : رفض أية مرجعية دينية في أي مجال من مجالات الحياة ، اعتماد العقل والتجربة مصادر وحيدة للمعرفة.

لقد أحرز مصطلح العلمانية شيوعا غير عادي في منطقتنا العربية والإسلامية، بل على مستوى العالم ككل، بحيث أصبح واحد من أهم المضطلحات في الخطاب التحليلي (الاجتماعي والسياسي والفلسفي)الحديث في الشرق والغرب، وعلى هذا الأساس دبجت المقالات ودارت النقاشات ونشرت

[1] – محمد على بار ، العلمانية جذورها و أصولها، ص29.

[2] – محمد عمارة، العلمانية بين الغرب و الاسلام ، دار الدعوة للنشر و التوزيع، الكويت، ط1، 2003م ،ص7.

الدراسات التي تناولت العلمانية سواء في العالم الغربي أو العالم الإسلامي، وفي مايلي سنتطرق لآراء بعض الشخصيات العربية في هذا الموضوع:

2-1 .العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة عند عبد الوهاب المسيري: يختلف الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابة القيم "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة "عن بعض المفكرين ،ويرى أن العلمانية مفهومان في دائرتين متداخلتين:

الأولى العلمانية الجزئية : وهي الدائرة الصغيرة وتعني فقط فصل الدين عن الدولة وهي بالتالي لا تنكر الدين، ولكنها تفهمه كأشواق روحية تتيح لكل فرد أن يتصل بخالقه بالطريقة المناسبة له.

الثانية العلمانية الشاملة : وهي الدائرة الأوسع وتحيط بالأولى، وهي تعني فصل الدين عن الدولة وعن حياة الإنسان في جانبها العام والخاص، بحيث تنزع القداسة، ويتحول العالم والإنسان والطبيعة إلى مادة يمكن توظيفها لصالح الأقوى، وللاستمتاع بمباهج الحياة ما أمكن وتؤدي العلمانية الجزئية حتما إلى العلمانية الشاملة في نهاية المطاف.[1]

فالعلمانية الجزئية هي رؤية جزئية للواقع(المعرفية)، ومن ثم لا تتسم بالشمول، أما العلمانية الشاملة للعالم ذات بعد معرفي (كلي نهائي) تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات(الميتافيزيقية) بكل مجالات الحياة، وهي رؤية عقلانية مادية...[2]

2-2.العلمانية السطحية والعلمانية الجديدة عند محمد أركون : ونجد محمد أركون يتحدث عن نوعين من العلمانية:

العلمانية السطحية (النضالية الوضعية الصراعية):تنطلق من منطلقات عقلانية سطحية عفى عليها الزمن، فهذه العقلانية التي تشكل أساس الحضارة الغربية تذهب إلى ضرورة سيادة العقل البشري القائم على التفحص والتجريب والقياس الرياضي الدقيق، والعقل هنا كما يصفه أركون عقل ضيق جامد متطلب، عقل أداتي، أوصلنا إلى عصرنا الأمريكي والتكنولوجي والإستهلاكي الراهن[3].

[1] – محمد علي بار، العلمانية جذورها وأصولها، ص16.

[2] – ينظر: د.عبد الوهاب المسيري– د.عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 2000م، ص119,121.

[3] – المرجع السابق، ص39.

إن البعد الديني حسب تصور أركون ليس أمرا يمكن أن يضاف إلى الإنسان أو يحذف منه، إنما هو أمر لصيق بالوجود الإنساني،...ولهذا فإن أركون يرفض المقولة العلمانية السطحية الشائعة في بلادنا "الدين للّه، والوطن للجميع "فالدين ليس للّه فقط، وإنما هو موجود في الشارع وفي أعماق الفرد والمجتمع، وقد تختفي أنماط التقديس وتموت مع أنماط الإنسان التي جعلتها تعيش، أما اللّه، كمرجعية مستمرة وكدلالة على المطلق "فهو حي لا يموت "[1] ، ومعناه أن البعد الديني والإيمان باللّه ملازم للفرد والوجود الإنساني.

العلمانية الجديدة أو العلمانية المتفتحة: في مقابل العلمانية السطحية الصراعية التي جاءت بعد الثورة الفرنسية وبعد فشل العلمانية السطحية...كان لابد أن يكون هناك تقارب بين الكنيسة والدولة للعثور على صيغة جديدة علمنة جديدة تتيح إمكانية وجود روحانية جديدة.[2]

2-3.أنور الجندي ونظرته للعلمانية: يقول الجندي :"..يتبين لنا أنّ العلمانية لم تكن قاصرة على أنها دعوة إلى فصل الدين عن الدولة إنما هي المرحلة الأولى التي تهيء الفكر والمجتمع جميعا لخطوة حاسمة هي علمنة الذات العربية نفسها على أساس أن تسقط نهائيا وإلى الأبد، وكل مايتصل بفكرها وتراثها ودينها وقيمها، وأن تعتنق المنهج العلمي أو وجهة النظر العلمية، وهو المنهج الذي يقوم على أساس قياس النظر إلى المجتمع والنفس والأخلاق والإنسان على النحو الذي تقاس به العلوم الطبيعية على أساس الملاحظة والتجربة ".[3]

تبنى الجندي الحقيقة القائلة بإلحادية الفكر العلماني الذي لا يخرج عن دائرة الشعوبية والماركسية والتغريب والاستشراق التي وفدت على المسلمين للنيل من دينهم والقضاء على ذاتيتهم العربية والإسلامية.

2-4.يعرفها الدكتور محمد عمارة بقوله: " هي عزل السماء عن الأرض ،وتحرير العالم والإنسان والإجتماع الانساني من التدبير الإلهي ومن حاكمية السماء، بدعوى أن العالم مكتف بذاته، وأن

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص40.

[2] – نفسه، ص40.

[3] – أنور الجندي، سقوط العلمانية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ص10.

الإنسان هو سيد هذا الكون، يدير حياته بالعقل والتجربة دونها حاجة إلى رعاية أو تدبير من وراء الطبيعة وخارج العالم الذي يعيش فيه ".[1]

وفي تعريف آخر للعلمانية يقول : "جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم دونها تدخل من شرعية سماوية هي وحي من اللّه المفارق لهذا العالم"[2].

نجد مفهوم العلمانية قد إنتقل إلى الأوساط الفكرية العربية فأحرز شيوعًا غير عادي، وأصبح من أهم المصطلحات في الخطاب التحليلي، وقد اختلف المفكرون العرب بين مؤيد ومعارض له، ومن أهم الذين تطرقوا لهذا الموضوع نجد عبد الوهاب المسيري الذي فرق بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة وفرق محمد أركون بين العلمانية السطحية والعلمانية الجديدة، في حين تبنى الجندي الحقيقة القائلة بإلحادية الفكر العلماني.

[1] –د.عمارة، الشرعية الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط1، 2003م، ص7.

[2] – د.محمد عمارة ،العلمانية بين الغرب والإسلام، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1996م، ص7.

2- العلمانية بين أزمة المصطلح وتطور المفهوم :

1- أزمة المصطلح: يرد في المعجم الفكري السياسي العربي عدة مصطلحات مثل (الاستنارة) و(التحديث) و(العولمة) شاع استخدامها، وإنقسم الناس بخصوصها بين مؤيد ومعارض. ولعل أكثر المصطلحات وإثارة للفرقة مصطلح (العلمانية) الذي يتم الحوار أو الشجار بخصوصه بحدة واضحة. وفي نظرة إلى تاريخ المصطلح ومفهومه، فقد "استخدم مصطلح سيكولار Secular ولأول مرة، مع نهاية حرب الثلاثين عامًا[1] عام 1648م عند توقيع صلح وإستفاليا وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة. وهو التاريخ الذي يعتمده كثير من المؤرخين بدايةً لمولد الظاهرة العلمانية في الغرب. وكان معنى المصطلح في بداية محدودة الدلالة ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول أو الإبهام، إذ تمت الإشارة إلى (علمنة) ممتلكات الكنيسة وحسب، بمعنى (نقلها إلى سلطات غير دينية)، أي إلى سلطة الدولة أو الدول التي تخضع لسلطة الكنيسة".[2]

ولكن بعد هذا التحديد "إتسع المجال الدلالي للكلمة، وبدأت تتجه نحو مزيد من التركيب و الإبهام على يد جون هوليوك John Holyooke (1817-1906م)، أول من صك المصطلح بمعناه الحديث وحوّله إلى أحد أهم المصطلحات في الخطاب السياسي والاجتماعي والفلسفي الغربي. وقد حول هوليوك أن يأتي بتعريف تصوّر أنهم محايد تماما ليست له علاقة بالمصطلحات مثل الإلحاد. فعرّف العلمانية بأنها " الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان، سواء بالقبول أو بالرفض"، وبعد ذلك تطور المصطلح فضاق ليصبح مقصورًا على "فصل الدين عن الدولة" وهي عبارة تعني حرفيا فصل المؤسسات الدينية(الكنيسة) عن المؤسسات السياسية (الدولة) ".[3]

---

[1] – هي الحرب التي نشبت في أوروبا في أعقاب حركة الإصلاح الديني وتكوين الدولة الحديثة، وهي حرب استمرت بين عامي 1618-1648م وقد كانت في البداية تأخذ شكل حرب دينية إلا انها سرعن ما اتسعت لتحقيق اطماع سياسية واقتصادية للدول الاوروبية .ينظر: عبد العزيز نوار محمود محمد جمال الدين ، التاريخ الاوروبي الحديث ، دار الفكر العربي ،القاهرة ،د ط، 1999م، ص 143-158.

[2] – د.عبد الوهاب المسيري و د.عزيز العظمة ،العلمانية تحت المجهر،ص11-12.

[3] – نفسه، ص 12.

والملاحظ أن هذه العبارة تحصر عمليات العلمنة في المجال السياسي وربما الاقتصادي أيضًا(رقعة الحياة العامة) ولا تشير من قريب أو من بعيد إلى شتى النشاطات الإنسانية الأخرى، أو إلى النموذج الكامن وراء عملية الفصل.[1]

إلا أنّ مفهوم العلمانية عاد ليتسع وأخذ يزحف على كافة أشكال النشاط البشري كما يرى أكثر من ينظر إلى العلمانية من هذا المنظور، وهو د.عبد الوهاب المسيري، فبيّن وجود شكلين أساسيين للعلمانية: هما العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، فبينما تختص الأولى بالمجال السياسي، فإن الثانية "لا تفصل الدين عن الدولة وعن بعض جوانب الحياة العامة وحسب، وإنما تفصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن كل جوانب الحياة العامة في بادئ الأمر، ثم عن كل جوانب الحياة الخاصة في نهايته، إلى أن يتم نزع القداسة تماما عن العالم...والعلمانية الشاملة لا تؤمن بأية معايير أو مطلقات أو كليات، فهي لا تؤمن إلا بالنسبة الشاملة أو المطلقة".[2]

2– تطور العلمانية من حيث علاقتها بالدين: ويمكن أن نفصل مراحل تطور العلمانية في علاقتها بالدين كما يلي:

2–1.فصل الدين عن الفلسفة:

ارتبط تاريخ العلمانية بتاريخ أوربا الفكري، وقد كانت العلمانية نتيجةً من نتائج الفلسفات التي تطورت مع الأحداث التاريخية والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها أوربا، خاصة مايتعلق منها بالجانب الذي كان في صراع مع الدين. ومن هنا فيمكن القول بأنّ بدايات الفكر العلماني ترجع إلى القرن الثالث عشر، عندما انتقلت فلسفة ابن رشد وترجمته وشروحاته لفلسفة أرسطو إلى أوربا وتأثر كثير من رواد الفكر الأوربي في ذلك الوقت بالحضارة الإسلامية إبان الفتح الإسلامي لأوربا. وفي الوقت نفسه كانت الكنيسة تقود الحملات الصليبية ضد البلدان الإسلامية، فجابهت المتأثرين والمنبهرين بالتراث العربي والإسلامي بكل ضراوة ، ونصبت لهم محاكم التفتيش باعتبارهم مهرطقين كفره، وفي الوقت الذي كان يرى فيه ابن رشد أن الحقيقة واحدة، وأنّ الدين يصور الحقائق

[1] – المرجع السابق، ص15.

[2] – حوارات مع د.عبد الوهاب المسيري ،العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي،دار الفكر ،دمشق،ط1، 2009م ، ص108–109 بتصرف.

الفلسفية على أسلوب المجاز، وميّز بين التفسير الحرفي للنصوص وبين المعاني التي يفهمها الفلاسفة منها، فإن الفلاسفة الأوربيين قالوا بالحقيقة المزدوجة والتي تفيد بأن الامر قد يكون صادقا فلسفيا خاطئا لا هوائيا أو العكس، ومن ثَمّ يمكن للفيلسوف المجاهرة بآرائه المناقضة للدين بحجة أنه فيلسوف.

فكانت هذه الفكرة بمثابة المهادنة للدين الذي كان لا يزال له المكانة الأكبر في أوربا ويمكن القول هنا أنّ هذه أول عملية عزل للدين، أخذت صورة عزله عن الفلسفة. وقد حدث ذلك تبعًا لإساءة فهم فلسفة ابن رشد من قبل أوربا، حيث رميت أفكاره بالإلحاد من قبل الكنيسة، وكان ذلك مما شجع في –الوقت ذاته– على قبولها عند فلاسفة أوربا، وعرفت المدرسة التي تبنت أفكاره بالرشدية اللادينية.[1]

2-2. فصل الدين عن العلم:

وبعد ذلك جاء فرنسيس بيكون، رائد المنهج التجريبي يؤكد على نظرية الحقيقة المزدوجة، ويدافع عنها ويتبناها في مجال العلم كما تبناها الفلاسفة، فدعى إلى الفصل بين الدين والعلم واعتبر أنّ لكل منهما طريقة خاصة. ونحا نحوه في الدفاع عن هذا المبدأ كل من غاليلو (1564-1642م) الذي كان معاصرًا له، وسبينوزا (1632-1677م).[2]

نرى أنّه إلى هذه المرحلة كانت العلمانية تأخذ منحنى الفصل بين مجالات الدين ومجالات العلم والفلسفة، لم تكن تمثل شكلاً من أشكال الإلحاد...

2-3. التأرجح بين الإيمان والإلحاد: في مابعد بدأت تظهر النزعة الإلحادية والمادية عندما زادت الهُوة بين الدين والعلم، وزاد عنف الكنيسة في محاربة وإحراق وتعذيب المخالفين لها، إلى جانب الفساد الأخلاقي الذي صار معروفاعند رجال الدين، والذي جعل الفلاسفة والمفكرين يوجهون لها انتقادات فاضحة.[3]

---

[1] – بنظر ، د. محمد إدريس الطحان ، العلمانيون والقرأن الكريم، دار أبن حزم، الرياض، ط1،2007م، ص 31-43 وكذلك ينظر:عباس محمود العقاد ،إبن رشد، دار المعارف، القاهرة،ط6، بدون تاريخ نشر، ص33،46.

[2] –ينظر، نفسه، ص43-44.

[3] – ينظر:د.عبد العزيز نوارود و د.محمود محمد جلال الدين،التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي، مصر القاهرة، بدون رقم الطبعة، 1999، ص121-123.

2-4. إعـــلان الإلحـــــــاد:

بقي الأمر كذلك حتى جاء نيتشه الذي عمل على تحرير الإنسان من أي أوهام متبقية عن الثبات والتجاوز والكلية، ويحطم ماكان يسمى قبله مقدسًا وخيّرًا وجميلاً ومطلقا وكليا للقضاء على أي يقين معرفي. بل وعلى مفهوم وفكرة الأخلاق نفسها. ومع ظهور العلوم البيولوجية ظهر أنه يمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق تطبيق نماذجها العضوية على المجال الإنساني. فكان لأفكار داروين حول تطور الأحياء، والصراع من أجل البقاء الذي يحسم في النهاية للأقوى، الأثر في عزل القيم عن الحياة ودعم ما أراده نيتشه، حيث جعل داروين الحياة غابة كبيرة يقع فيها صراع مستمر، يحسم من خلال شيء كامن في المخلوق نفسه وهو قوته، وليس من خلال أي مرجعية أخلاقية أو دينية.

وكان هذا ملائمًا للمجتمع الغربي في القرن 19م، عصر الإمبريالية والهيمنة على الكون باعتبارها تعبيرا عن قانون طبيعي مادي وهو البقاء للأصلح. وهكذا فقد طوّر نيتشه رؤية معرفية علمانية إمبريالية لا ينقصها سوى الجيوش والدبابات فاستكمل بناء النموذج العلماني المادي، وأطلق عبارته الشهيرة "مات الإله" ثم عمل على تطهير العالم من أي ظلال يكون قد تركها الإله بعد موته. [1]

من هنا إرتبطت العلمانية بالمادية والإلحاد، بعد أن بدأت بسيطة ترمي إلى عزل الدين عن مجال العلم، وإحترام كلّ منهما، وعبر عن ذلك بالحقيقة المزدوجة، لكن أوروبا أخفقت في الإستمرار في هذا التوفيق، فما كان منها إلا أن إتجهت إلى انتقاد الدين ورجاله وصولا إلى إنكار الدين بالكلية، وإحتفظ البعض بإيمانهم بالله لكنهم بنوا لأنفسهم تصورات خاصة حول الإله تتفق مع عقولهم التي إنطفأ أمامها نور الوحي والتوجيه الإلهي، فإختلفت مشاربهم وإتجاهاتهم، حتى وجدوا في الإلحاد مايجمعهم. وسارت العلمانية لا تعني عزل الدين عن مجال معين فقط، بل إلغاء الدين وما يتعلق به من مرجعيات أخلاقية وتكريس للمادية على يد علماء الأحياء أمثال داروين، وفلاسفة أمثال نيتشه وماركس وغيرهم.

[1] - عبد الوهاب المسيري ، نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر،بحث للدكتور ضمن مجموعة أبحاث في كتاب بعنوان نيتشه وجذور مابعد الحداثة "ضمن سلسلة أوراق فلسفية" ،تحرير د.أحمد عبد الحليم عطية ،دار الفراضي ،بيروت ط1، 2010م،ص170-172.

لقد كانت العلمانية في القرنيين 17- 18م علمانية معتدلة – بالنسبة لما آلت إليه العلمانية فيما بعد وإقترانها بالإلحاد – تترك الدين حرية شخصية بين الناس لا دخل للدولة به، ولكنها تعزله عن مجالها بالكلية وكانت تنكر بعض تعالمه دون إنكاره بالكامل، وتطالب إخضاع بعضها الآخر للعقل أما القرن 19م فهو عصر الثورة العلمانية حيث نبذت الدين وأنكرته وأنكرت كل الغيبيات ومعها الوحي بل وأنكرت وجود الله تعالى. وبإنكار الدين نعود إلى غياب المرجعية تماما عن جميع مجالات حياة الإنسان، حيث للإنسان أن يعيش ليسعد نفسه حسب مايشاء وحسب ما يرى أنه الأفضل له.

المبحث الثاني: مناخ العلمانية.

1- نشأة العلمانية:

إنّ دراسة نشأة العلمانية يتطلب دراسة ظروف النشأة وهو أوروبا، من حيث إنتشار الديانة النصرانية هناك، وتطور مكانة الكنيسة وموقفها من الدولة، بالتزامن مع الحركة العلمية والفكرية التي إنتشرت هناك، وكيف أفرز ذلك العلمانية هذا وإن كان الدكتور عبد الوهاب المسيري يرى أن "عناصر العلمنة موجودة في أي مجتمع في هامش وفي حالة كمون، ويمكن أن تنتقل من الهامش إلى المركز، ومن الكمون إلى التحقق إن ظهرت اللحظة التاريخية والظروف الاجتماعية والسياسية المواتية وساد الجو الفكري المناسب".[1]

إلا أنّ هذا لا ينفي عن العلمانية كونها ظاهرة أوروبية نتجت عن ظروف خاصة عاشتها أوربا خلال حقبة معينة وأثرت فيها عدة عوامل مجتمعة معًا، حيث تعود نشأة العلمانية إلى عدة أسباب منها:

1-1- الطغيان السياسي للكنيسة: لقد اعتقد المسيحيون أن الكنيسة كيان عالمي خالد يمتد منذ الخليقة إلى يوم الحساب كما كان للفكرة القائلة بأنّ الكنيسة عروس المسيح تأثير عظيم على الفكر في العصور الوسطى[2] أي أنّ الكنيسة كيان روحي خالد.

وفي العالم القديم كانت سلطة الملكية ترتكز على دعامة وثيقة الصلة بالآلهة، ومن ناحية أخرى كان رجال الكهنوت في العالم بمثابة قوة إجتماعية وسياسية أيضا، وتطورت فكرة القداسة التي أصفاها الأباطرة على السلطة الإمبراطورية فتجسّد ذلك في نوع من الواحدية السياسية (أي نظرية الحاكم الواحد المقدس) إذ كان من المعتقد آنذاك أنه يوجد إله واحد في السماء، وإمبراطورية واحدة على الأرض نائبًا للذات المقدسة وشريكًا لها.

[1] – سوزان حرفي ،حوارات مع عبد الوهاب المسيري،العلمانية والحداثة والعولمة، ص111.

[2] –نورهان كانتور،العصور الوسطى الباكرة ،ترجمة وتعليق قاسم عبد القاسم،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،دط، دت، ص57.

وكان قادة الكنيسة يبذلون ما في وسعهم لمقاومة هذه الوحدانية السياسية[1]وذلك من إلاههم–قادة الكنيسة– لم يكن هو نفسه إله الدعاة الإمبراطوريين أي الملوك والأباطرة.

وكانو يقولون عن الملوك والأباطرة إنهم شرّ لابد منه، ويعبرون عن عصيانهم لهم، لكن إرتقاء أحد المسيحيين للعرس الإمبراطوري حث على الكنيسة أن تعيد النظر في موقفها من الملكية[2] فقد أفاد الإمبراطور قسطنطين من تحوله إلى المسيحية لتدعم حكمه.

كما أفاد الكنيسة أيضا من قوة الإمبراطور الذي رعاها وحسم الخلافات المذهبية ومشكلات العقيدة منتصرًا للفئة التي يريد، ورغم ماتسبب به ذلك من تحريف للنصرانية إلا أنّ الكنيسة نسيت في غمرة فرحتها بدخول الإمبراطور في دينها، الحفاظ على أصل هذا الدين، وأضفو عليه وعلى حادثة دخوله النصرانية نوع من القداسة والتبجيل...وقد كان "الرباط الذي جمع الكنيسة بالإمبراطور هو رباط المصلحة الدنيوية لكلا الطرفين لا غير"،[3]فكانت بذلك علاقة الكنيسة بالحاكم مبنية على مصالح دنيوية غضت البصر عن كل ماهو ديني وحرّفت بذلك الديانة النصرانية.

ويتبين من خلال ماسبق كيف أنّ للكنيسة كانت تسعى تكريس سلطانها الدنيوي إلى جانب سلطانها الروحي، وماكان ذلك إلا رغبة في بيان سموها وإضفاء القداسة عليها وجعل البابوية مصدر جميع السلطات السياسية والدينية، ولم يكن ذلك رغبة في رفعة الدين وتحقيق شرع اللّه، ذلك لأن أوروبا " لم تعرف قط دين اللّه المنزل على حقيقته الربانية إنما عرفت صورة محرّفة من صنع الكنيسة الأوروبية، لا صلة لها بالأصل المنزل، الذي أرسل به المسيح ليبلغه لِبني إسرائيل[4] إضافة إلى أنّ الكنيسة سمحت للعالم المسيحي أن يحكمه القانون الروماني في كل شؤونه ماعدا الأحوال الشخصية وأن ينحصر سلطان اللّه على عباده في مشاعر الخشوع والتقوى والشعائر التعبدية، وبذلك تم فصل العقيدة عن الشريعة[5].

[1] - الرجع السابق ،ص77.

[2] – سفر الحوالى، العلمانية نشأتها وتطورها وآثالرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، دط، دت، ص61.

[3] – نورهان كانتور،العصور الوسطى الباكرة، ص57.

[4] – محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص9.

[5] – المرجع نفسه، ص17.

1-2.الطغيان المالي للكنيسة: إنّ الكنيسة لم تزاحم الأباطرة مقاليد الحكم والقرار فقط، بل إنّها إمتلكت من القوة المادية مادعم نفوذها السياسي بشكل كبير، وإذ كانت أملاك الكنيسة مما لا يجوز إنتقاله إلى غيرها، وكانت قبل 1200م معفاة من الأحوال العادية من الضرائب الزمنية، فقد أخذت هذه الأملاك تنمو على مر القرون، فلم يكن من الأمور غير العادية أن تمتلك كنيسة كبرى أو يمتلك دير للرجال أو النساء عدة آلاف من الضياع تشمل نحو إثنتي عشرة بلدة، وأحيانا مدينة كبرى أو مدينتين.

فقد كان الأسقف لاتجر مثلا يمتلك المقاطعة كلها، وكان أسقف بولونيا يمتلك ألفي ضيعة وكانت الكنيسة في قشتالا تمتلك عام 1200م حوالي ربع الأراضي الزراعية، كذلك جاءت إلى الباباوات أموال طائلة ممن ينالون صكوك الغفران البابوية، وقد حسب دخل الكرسي البابوي في عام 1250 م فكان أكثر من دخل رؤساء الدول الأوروبية الزمانيين مجتمعين، ومهما تكن ثروة الكنيسة متناسبة مع إتساع وظائفها فقد كانت هذه الثروة أهم الأسباب للإلحاد في هذا العصر.

وكان من قصائد الهجاء المتناولة في القرن 13 قصيدة عنوانها (الإنجيل حسب الماركات الفضية) مطلعها وقال البابوات للرومان في تلك الأيام، إذا جاء إبن الإنسان إلى مقعد جلالتنا فليكن أوّل ماتقولون:أيّها الصدّيق لما جئت إلى هذا المكان؟ فإذا لم يعطيكم شيئًا فألقو به في الظلمات الخارجية.[1]

ويثبت لنا من خلال هذا إلى أي درجة وصل الفساد الديني والإجتماعي على يد الكنيسة النصرانية وبابواتها ورجالها، فقد كانت تعاليمهم الزائفة والباطلة أكبر من أن تتحمله الناس وقد ضربت الكنيسة ورجالها النصوص الدينية عرض الحائط، لاهثة وراء الأموال والضرائب حتى غدت الكنيسة ورجالها أكبر سادة الإقطاعيين في أوروبا.

[1] – ول ديوارانت، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران، ج16، دارالجيل، بيروت، لبنان، ص70-72.

1-3.الطغيان الروحي للكنيسة: اتخذت الكنيسة من سلطانها الديني في قلوب الأتباع المؤمنين مطية لإستعبادهم فكريا وروحيا، مستغلة جهل الناس في ذلك الوقت وكون رجال الدين هم الطبقة المتعلمة في تلك الحقبة، فإحتفظت لنفسها وحدها بحق قراءة وتفسير الكتاب المقدس محيطة العقيدة بالطقوس، وأقحمت رجالها وسطاء بين الناس وربهم يحملون مفاتيح الأسرار وتنكشف لهم الحجب فالطفل لا يعد مسيحيا حتى يعمد والتعميد لا يتم إلا على كاهن، وهو الذي يزوجه وهو الذي يقبل اعترافه بخطاياه يتقبل توبته،[1] وبذلك يكون للكنيسة سلطة روحية على كل الأفراد.

وعززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بإدعاء حقوق لا يملكها إلا الله مثل حق الغفران وحق الحرمان وحق التحلة، ولم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية .

"صكوك الغفران" وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحا مخيفا للأفراد وشعوب في آن واحد، فأما الذين تعرضو له من الأفراد فلا حصرة لهم، منهم الملوك أمثال" فريديريك" و"هنري الرابع الألماني" و"هنري الثاني الأنجليزي" ورجال الدين المخالفين من "آريوس حتى لوثر" والعلماء والباحثون المخالفون لآراء الكنيسة.[2]

وأما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون فعطلت الكنائس من الصلاة ومنعت عقود الزواج أما حق التحلة فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخل عن الإلتزام بها متى إقتضت – مصلحتها هي- ذلك ولم تقتصر الكنيسة هذا طبقت عمليا مايثبت إصرارها على الطغيان وحشدت الجيوش الجرارة لمحاربة من سولت له نفسه مخالفة آراءها أو اعتنق من يخالف عقيدتها.

ولا نعني بذلك المسلمين أو اليهود بل الطوائف النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة في قضية من قضايا العقيدة أو الشريعة[3] إلى غير ذلك من العقائد والمبتدعات النصرانية التي فرضتها الكنيسة على

[1] – محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص30،31.

[2] – سفر الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، ص130.

[3] – نفسه ، ص 130.

أتباعها، لتمارس السلطة والطغيان الديني عليها، ودينا كهذا ليس له صله بما أنزل الله تعالى من الحق وغير صالح بأن يكون له سلطان على العقول البشرية.

1-4. الصراع بين الكنيسة والعلم: الصراع بين الدين والعلم من أعقد المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي، فمنذ عصر النهضة إلى عصرنا الحاضر والصراع على أشده بين مؤيدي العلم وأنصار الدين[1] وبمعنى آخر تجلي الصراع حقيقة بين الكنيسة والعلم، هذا الأخير الذي انتصر فيه العقل واليقين على الخرافة و الوهم، ولعل آخر الأقنعة التي سقطت لتكشف عن الوجه القبيح للكنيسة بجلاء هو عندما وقع هذا الصراع، وماصاحبه من اضطهاد الكنيسة للعلماء.

فإن عيوب الكنيسة يمكن أن تفهم عند بعض الناس فيما لا يتجاوز فساد رجال الدين، أما الصراع بين الكنيسة والعلم فقد أخذ شكل الصراع بين الدين والعلم، وجعل الدين في مناقضة للحقيقة بدلا من أن يكون هو الحقيقة المطلقة كما اعتقد الناس عصورا طوالا. فالدين الحق لايمكن أن يتعارض مع العلم الحق، وقد كان صدام الكنيسة مع العلم للأسباب التالية:

- تحريف الدين ومزجه بالخرافات من العقائد الوثنية وغيرها، ثم الدفاع عنها على أنها حقائق من عند الله، و اعتبار الخارجين عنها كافرين يستحقون العقاب.

- تأثر أوروبا بالإشعاع الحضاري الإسلامي خاصة عبر الأندلس وصقلية، والأخذ بالمنهج التجريبي عن المسلمين وطرائق البحث ومناهج التفكير، وما أدى إليه من رفض وصاية الكنيسة على عقول الناس، فثار رجال الكنيسة على الكفار، ولاحقتهم محاكم التفتيش وصدرت بحقهم قرارات اللعن والحرمان.

- خطأ الكنيسة في التوفيق بين بعض النظريات العلمية وبين الإيمان بوجود إله متوهمة لزوم التناقض بينهما، مثال ذلك موقف الكنيسة من نيوتن ونظريته التي جعلت من الممكن تفسير الظواهر الطبيعية وفق الأسباب دون الحاجة إلى القول بتدخل القوى الخارجية، الأمر الذي إعتبرته الكنيسة ضربا من الإلحاد كان مؤمنا.[2]

[1] – المرجع السابق، ص145.

[2] – نفسه ، ص149.

وكل هذا الصراع كان تأثيرًا بين المثقفين ولم يكن للطبقات الشعبية فيه نصيب إلاّ بعد الثورة الفرنسية 1789م[1] وبذلك يكون القرن الثامن عشر قد تميز بظهور روح الشك العام في كل شيئ تقريبًا، وصارت آلهة مفكري تلك الحقبة هي العقل والطبيعة، وسمي بعصر التنوير، ومن أبرز رجاله فولتير و جون جاك روسو.

ومنذ ذلك الوقت ظهرت النظريات الفلسفية والتوجهات العقلية التي تسعى إلى فصل الدين لا عن السياسة فحسب بل عن مظاهر حياة الإنسان، فإلى جانب علمانية السياسة فقد كان مبدأ الحرية الذي رفع شعارًا للثورة الفرنسية 1789م يرمي إلى الدعوة إلى التحرر من وصاية الدين، فغابت المرجعية وانعدمت القيم وصبغت مبادئ العلمانية النواحي الإقتصادية والعلمية وغيرها.

أمّا من ناحية العلم فقد بدأ يفصل عن الدين، ولا نرى كلمة "الله " أو "الخالق " تقترن بأية عبارة في الكتب العلمية، واستبدلت بها كلمات مثل "الطبيعة" وغيرها... إضافة إلى إلغاء البحث في الغاية وإهمالها، والإهتمام فقط بدراسة الأسباب والمسببات. كما أنكر العلم عالم الغيبيات والوحي والمعجزات وصولا إلى إلغاء وجود الله تعالى في صورة المذاهب المادية والإلحادية.

[1] – المرجع السابق ، ص164.

2- أسباب دخول العلمانية إلى العالم الإسلامي:

الإسلام دين علم، والإسلام يعتني بكافة جوانب الحياة، فهمو نظام متكامل مشتمل على إسعاد البشرية.

فهو الدين الذي إرتضاه الله لعباده لاعتناقه وتكفل سبحانه وتعالى بحفظه فهو الحق وهو العدل قال تعالى﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾[1].

وإذا كان الأمر كذلك وكان المسلمون ينعمون بهذا النور العظيم والفضل العميم فما حاجتهم للمناهج الأرضية؟ وكيف تسلك تلك المذاهب الهدامة وعلى الأخص تلك النحلة الخبيثة كالعلمانية؟

إنّ ظهور هذه المذاهب كالعلمانية في البلاد الأوروبية أمر طبيعي لعدم وجود المنهج الصحيح الذي يكفل سعادة الأفراد و المجتمعات، أما ظهورها في بلاد المسلمين فهذا أمر غير طبيعي.

إذن كيف دخلت العلمانية بلاد المسلمين وتغلغلت فيها؟ وما أسباب ذلك؟

لقد دخلت العلمانية إلى بلاد المسلمين لأسباب عديدة يمكن إيجازها في مايلي:

1. تردي حال المسلمين وضعفهم خاصة على المستوى الفكري وتحديدا في أواخر العصر العثماني وانتشار الفكر الصوفي الذي عطل العمل والأخذ بأسباب القوة،[2] وقد أدى ذلك إلى استحكام الضعف بالدولة العثمانية، نتج عنه سقوط الخلافة سنة 1924م ومن ثمّ فقد العالم الإسلامي آخر مايمكن أن يستند إليه في مجابهة الغرب الغازي عسكريا وفكريا.

2. وفي الوقت ذاته صاحب هذا التردي في مال المسلمين تقدم علمي مذهل حققته أوروبا تبعه تقدم صناعي وإقتصادي دفع أوروبا إلى البحث عن أسواق لمنتجاتها ومصادر للمواد الخام اللازمة لصناعتها فإعترى فيها الرغبة بالتسلط على الدول الأضعف وإستعمارها تحقيقا لمصالحها.[3]

[1] - سورة الأنعام ،الآية 114.

[2] – ينظر: سفر عبد الرحمان الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها، ص508.

[3] – ينظر: د.السيد أحمد فرج ، جذور العلمانية، دالر الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة،ط1، 1985م، ص14-15.

وقد عملت أوروبا من خلال تجاربها التاريخية أن الدين الإسلامي هو الرابط الذي يربط الأمة الإسلامية، وهو سر قوتها وثباتها ورفضها للذل والإستعمار، وأنه لا مستقبل لها عسكريا في ديار المسلمين إلا بإضعاف هذا الدين ومحو أثرها في حياة المسلمين قدر المستطاع.

3. تزامنت النهضة الأوروبية مع إنتفاضتها ضد الدين الذي حكم أوروبا زمنا طويلا، فصوروا للمسلمين بأن سبب تخلفهم هو تمسكهم بالدين، وأن الطريق إلى التقدم والحضارة لا يكون إلا نبيذ الدين والإنطلاق من أغلاله وقيوده[1]. بحيث ربطوا واقع المسلمين المزري وتخلفهم بالإسلام، واعتقاد أن أوروبا لم تتطور إلا عندما نبذت الدين النصراني والحل هو نبذ الدين الإسلامي لكي ينهض المسلمون وهم في ذلك يساوون بين المختلفين، ويغفلون الفروق الجوهرية بين الإسلام والمسيحية في سطحية ساذجة في الظاهر وخبث مقصد في الداخل.

4. الغزو العسكري لديار المسلمين حيث يرى الدارسون المحدثون من أساتذة التاريخ الحديث والفلسفة في الجامعات المصرية أنّ أول ظهور العلمانية بمصر كان مع حملة نابليون تعبيرا عن روح الثورة الفرنسية، وأنها إتخذت طابعا رافضا لكل ماهو ديني[2] إضافة إلى ما أدى إليه الإستعمار فيما بعد من تقسيم العالم الإسلامي وزرع بذور التناحر بين المسلمين بل وفرض المبدأ العلماني بالقوة من خلال ترجمة القوانين الغربية وإحلالها محل الشريعة الإسلامية. فقد حل القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية في مصر 1883م وعلى يد الخديوي إسماعيل، وفي الجزائر سنة 1830 وفي تونس 1906 وفي المغرب سنة 1913م.[3]

5. الإفتنان بالغرب وماعنده وعودة بعض أبناء هذه الأمة بعد دراستهم في الخارج حاملين ثقافات غربية يريدون استبدالها بالإسلام أو الإتجاه إلى الفكر التوفيقي بين الإسلام والحضارة الغربية سواء بحسن نية أو سوء.

---

[1] – ينظر: الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها، ص15-16 .

[2] – نفسه، ص10.

[3] – ينظر:إعداد الندوة العالمية للشباب المسلم، إشراف د: مانع الجهني الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420هـ، ج 2، 681 .

وذلك بقيام تربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية وإعطائهم ألقابا علمية مثل: درجة الدكتوراه أو درجة الأستاذية، فيحصل على هذه الشهادة بعد أن يفتقد شهادة –لا إله إلا الله –وبعد رجوعهم يصبحون أساتذة للجامعات ويتولون العديد من المنابر يمارسوا تحريف الدين، وتزييفه، والتلبيس على الناس، وتوجيههم الوجهة التي يريدونها.[1]

6. الأقليات غير المسلمة كالنصارى واليهود والشيوعيين وأصحاب الإتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم، وكل هؤلاء لا ينعمون بظلالهم وإنحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار مايسمى بالعلمانية، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها والدعاية لها حتى إنخدع بذلك كثيرون من السذج وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.[2]

7. تمكن علماء الغرب المخدوعين به و أصحاب الإتجاهات والمذاهب المنحرفة من الحكم والسلطة في أكثر بلاد المسلمين بدعم من أسيادهم[3]. وهذا من خلال توسيد الأمر لغير أهله في كثير من بلدان المسلمين حيث تمكن كثير من عملاء الغرب من الوصول إلى سدة الحكم، وتولي المناصب المهمة.

فهذه جملة أسباب بعضها داخل في بعض تضافرت وتكاتفت، وأدى إلى قيام العلمانية التي بسطت نفوذها، ومدت رواقها في كثير من بلاد المسلمين، ويبقى السبب الرئيسي، هو الجهل بدين الإسلام عند كثير من المسلمين.

[1] – محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، 1426/09/09هـ، الزلفي11932،ص ب:www.Toislam.net.alhamad@toislam.net.616/615.460

[2] – ناصر بن عبد عبد الله القفاري ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ص107.

[3] – نفسه،ص107.

3-مبادئ العلمانية:

سعت العلمانية إلى فصل الدين على الدولة وذلك بإقامة دولة تخلوا من تعاليم الدين وأوامره فورد في كتاب عبد الوهاب المسيري وقد قسم العلمانية إلى جزئية وأخرى شاملة حيث يقول "الأولى جزئية ونعني بها العلمانية بإعتبارها فصل الدين على الدولة"[1] وهي بالتالي لا تنكو الدين ولكنها تفهمه كأشواق روحية تتيح لكل فرد أن يتصل بخالقه بالطريقة المناسبة له. ووصفها بالحياء فيقول عبد الرحمان حبنكة الميداني "تتظاهر بالحياء تجاه عقائد الدين وعباداته المحصنة وما أرادوا حصر الدين فيه واعتبروه من دائرة تخصصه، ويتظاهر بأنه لا يريد إلغاء الدين كليا وإنما يريد حصره في مجالات تخصه"[2] ومنه يعني أنّ تعاليم الدين لا تخرج عن جدران الكنيسة ورجالها.

"والشاملة منها لا تعني فصل الدين على الدولة وحسب وإنما على الطبيعة وعن الحياة الإنسانية والأخلاقية والدينية لا عن الدولة وحسب وإنما على الطبيعة وعن الحياة الإنسانية في جانبها العام والخاص، بحيث تنزع القداسة عن العالم ويتحول إلى مادة إستعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى وللاستمتاع بمباهج الحياة"[3]. وهذا يعني أن الحياة الإنسانية تصبح حياة مادية بحتة تخلوا من كل المبادئ والقيم الإنسانية وتطغوا عليها الشهوات والرغبات فيكثر فيها الفساد والترف.

ومنها تقصر الإهتمام الإنساني على الدنيا فقط وتأخير منزلة الدين في الحياة ليكون من ممارسات الإنسان الشخصية فلا يصح أن يتدخل في الحياة العامة وأما الدار الآخرة فهي أمر وراء الطبيعة فينبغي في دين العلمانية أن يكون مفصولا تماما عن التأثير في الحياة المادية وقوانينها المحسوسة ورد في كتاب عبد الرحمان حبنكة " أما تدخله في شؤون الحياة الدنيا فهو تدخل يفسدها ويعوق مسيرتها وتقدمها وإرتقاءها".[4]

1- فصل الدين الإسلامي عن الحكم، وإحلال القوانين الوضعية مكانه، وإقصاؤه ما أمكن عن دائرة التأثير وتشكيل المرجعية في المجال السياسي على وجه الخصوص وباقي مجالات الحياة على العموم

[1] – عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ، ص16.

[2] – عبد الرحمان حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط3، دار القلم، دمشق، 1419هـ، ص164.

[3] –المرجع السابق ، ص16.

[4] –المرجع السابق ، ص164.

وإقتفاء أثر الغرب في صنع الحضارة على أسس العلم والعقل بعيدًا عن الوحي والغيبيات غير اليقينية في نظرهم.

2- إضعاف الدين في القلوب، وعزله عن الحياة، وفتح الباب أمام المسلمين لتقبل الثقافة الغربية المستعمرة، ليتسنى لهم السيطرة على بلاد المسلمين دون مقاومة يحث عليها الجهاد وتذكيها عقيدة المسلم وإيمانه بالله واليوم الآخرة، وعمادها الزهد في متاع الدنيا الفانية، لذا فقد سلكت طريق الإنفتاح على الدنيا، ودفعهم إلى التمسك بها لينشغلوا بذلك عن مقاومة عدوهم.

3- تشكيل إسلام جديد معدّل وفق المقاييس العلمانية، بحيث يفرغ من عناصر التميز والقوة الذاتية التي تجعل له مكانة كبيرة في قلوب أتباعه. وربما يكون أول من رصد مثل هذا التوجه هو سيد القطب رحمه الله عليه في كتابه دراسات إسلامية تحت عنوان "إسلام أمريكاني"[1]، وهو يشير إلى إستغلال بعض جوانب الإسلام في محاربة الشيوعية، مع طمس الجوانب التي تتناسب الأهداف والمصالح الغربية، إلا الأمر الآن أكثر عمقا وأشد خطرا.

4- التمكن من التعامل مع الإسلاميين إذا ما وصلو إلى الحكم، دون الحاجة إلى المواجهة السافرة والصدام بترويضهم بطرق شتى ودفعهم إلى القبول بأسس اللعبة السياسية وفق المفهوم العلماني.

5- إقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والإقتصاد والتعلم، وهذا من خلال محاولاتها لفرض قانون وضعي – مدني بديلا للشريعة الإسلامية- وإنشاء معاهد هدفها الرئيسي السيطرة على مناهج المدارس الوطنية وإخلائها من دراسات القرآن والإسلام والعروبة وكان البدئ من النظام السياسي يرتكز رجالها على النظم الليبرالية الديمقراطية كأساس للمنهج السياسي الذي تطبقه البلاد العربية وهو ذلك المنهج الذي يقوم على أساس إنشاء برلمان ودستور وأحزاب، وحرصها كل الحرص على الإقليمية، أي جعل لكل دولة إقليم خاص بها وحدود سياسية، والفصل أيضا حتى في مفهوم الوطنية ومفهوم الأمة العربية وبينها وبين وحدة العالم الإسلامي من ناحية أخرى والفصل بين هذه الأقطار ثقافيا وكذا الفكر العربي الإسلامي[2]، وهذا جلي وواضح في المضامين الكبرى والجوهرية للشريعة الإسلامية، نذكر منها

[1] – سيد القطب ، دراسات إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 2002م، ص119.

[2] – ينظر، أنور الجندي، سقوط العلمانية ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2 ، ص26-28.

على المثال إجراء بعض التعديلات في القانون الأسري في العلاقة بين الزوجين أي ترجيع الكفة للزوجة على حساب الزوج، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية، إضافة إلى جريمة الزنا والسرقة وهتك الأعراض وإباحة الربا.

وهذا يشير إلى أنّ القوانين الوضعية خالفت في ذلك الأسس التي ترعاها الشريعة الإسلامية.

6- تقوم على نظام إجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الإجتماعي دون النظر إلى الدين[1] أي أنها تدعو إلى المعاصرة وموالاة الغرب في الأخلاق والسلوك.

7- إعمال حرية العقل أي لا سيطرة على العقل إلاّ العقل ذاته كما يقول الفيلسوف كانط، أي تعتمد على العقل كمبدأ للمعرفة وللوصول إلى الحقيقة وإلغاء وجود الله حيث "يرى العلمانيون أنّ الله مفارق للعالم والطبيعة، ولكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرها تدبيرًا ذاتيا دون تدخل الإله فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته لا من حيث أن شيء خارجي هو الذي يحدث فيه الحركة وعناية الله موقوفة على ذاته لاتدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة".[2] فالعالم يكشف بذاته، تدبرة الإنسان المودعة فيه، وهو حده مصدر المعرفة الحقّه القابلة للبرهنة والتعديل وتدبير الدنيا مرجعيته الإنسان بالعقل والتجربة دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء.

8- إعتماد أسلوب التلوين، وزحزحة الألفاظ، وتحريف الحقائق في محاولات تمرير الأفكار العلمانية، أو محاولة استخراجها من الدين الإسلامي نفسه، مما يدل على انحصار العلمانية أمام الصحوة الإسلامية، وأنّ الأسلوب الصريح المباشر إلى ترك الدين لم يعدله قبول عند الجماهير.

9- إلباس الدعاوي العلمانية لباس التأصيل الشرعي والإجتهاد العلمي، وتجلى ذلك من خلال أنسنة القرآن، والقول بتاريخية الدين الإسلامي، ونفى القيادة السياسية لرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها.

[1] – صلاح الصاوي، موقف الإسلام من العلمانية، ط1، 1427هـ، 2006م، ص6.

[2] – د.محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام ، دار الدعوة، الكويت،، ط1، 1417هـ، 1996م، ص8.

10- محاولات إفراغ الإسلام من قداسته، فيبقى ولكن خاويا من مضمونه الذي يجعل له مقاما غالبا في نفوس أهله.

11- الدور الخفي للغرب، وذلك من خلال تخطيط لنشر العلمانية في العالم الإسلامي معتمدة على أيدي إسلامية، وفي هذا مهادنة للإسلام، وتجنب المواجهة المباشرة معه.

12- الدعوة إلى الإجتهاد والتجديد، والإلحاح على مبدأ تغير الفتوى بتغير الزمان.[1]

13- الفصل بين السياسي والديني وبين الروحي والزمني وبين العام والخاص.

14- تحسين الحياة البشرية في هذه الدنيا بالوسائل المادية البراجماتية العملية.

15- العلم الحديث (Sience) هو قدر الإنسان، أي يرفض الإيمان بالقدر(Providencee).

16- عمل الخير في هذه الدنيا دون الإنتظار للجزاء من الله (سبحانه وتعالى) في الدنيا والآخرة إذ أنّ وجود الله والآخرة أمران مشكوك فيهما على أقل تقدير، ولابد أن يعمل الخير لذاته في هذه الدنيا لجعل الحياة البشرية سعيدة قدر الإمكان.[2]

[1] – ينظر، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن، منى محمد الشافعي، دار اليسر، القاهرة، ط1، 129هـ، ص92.

[2] – د. محمد علي البار، العلمانية جذورها وأصولها، ط1، دار القلم، دمشق، 1429هـ، 2008م، ص32.

المبحث الثالث : وسائلها وآثارها.

1- وسائل العلمانية في نشر مذهبها:

سلك العلمانيون في سبيل تحقيق مآربهم أهدافا عديدة ملائمة لكل زمان ومكان منها مايلي:

1- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة، والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب.

2- السيطرة على وسائل الإعلام؛ ليبثوا سمومهم من خلالها.

3- رفع قيمة الأقزام والمنحرفين وذلك من خلال الدعاية المكثفة لهم، وتسليط الضوء عليهم وإظهارهم بمظهر العلماء المفكرين، وأصحاب الخبرات الواسعة والقرائح المتفتقة. ويهدفون من وراء ذلك إلى أن يكون كلام هؤلاء مقبولا عند الناس.

4- لبس الحق بالباطل وذلك من خلال طرْق العديد من الموضوعات بإسم الإسلام كالإختلاط وغيره.

5- القيام بتربية بعض الناس على أعينهم في محاضن العلمانية في البلاد الغربية، وإعطائهم ألقابا علمية مثل : درجة الدكتوراه، أو درجة الأستاذية؛ فيحصل على هذه الشهادة بعد أن يفتقد شهادة – لا إله إلاّ الله- وبعد رجوعهم يصبحون أساتذة للجامعات، ويتولون العديد من المنابر؛ ليمارسوا تحريف الدين، وتزييفه، والتلبيس على الناس، وتوجيههم الوجهة التي يريدونها.

6- إتباع سياسة النفس الطويل والتدرج في طرح الأفكار.

7- الإكثار من الأحاديث عن موضوعات معينة بهدف إقناع الناس بها إنطلاقا من قاعدة (من تكرر تقرر).

8- إشغال الناس بتوافه الأمور حتى لا يدركوا حقيقة العلمانيين.

9- تشويه التاريخ الإسلامي، وإبراز الجوانب السلبية، مع كتمان الجوانب المشرقة المضيئة بهدف قطع حاضر الأمة عن ماضيها.

10- الهجوم على الأئمة الأعلام، بل الطعن في الصحابة والتابعين بإسم الموضوعية.

11- إحياء النعرات الجاهلية، والتغني بالوثنيات القديمة.

12- الطعن في اللغة العربية ووصفها بالجمود، حتى يكرهها المسلمون ويستصعبوها وبالتالي ينقطعون عن فهم تراث أسلافهم، وفهم نصوص الشرع، وكلام الأئمة.

13- تفسير القرآن ونصوص الشرع تفسيرًا عصريًا بحسب مايروق لهم، ويناسب أهواءهم.

14- إنشاء المدارس والجامعات، والمراكز الثقافية الأجنبية، والتي تكون في حقيقة الأمر خاضعة لإشراف الدول العلمانية.

15- الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية وإختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر؛ حتى يخيل للناس أن الدين كله إختلافات، وأنه لا إتفاق بين العلماء في شيء مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به، وإلا لما وقع الخلاف، وهو بذلك يريدون صرف الناس عن الدين.

16- تصوير أهل العلم في كثير من وسائل الإعلام على أنهم طبقة منحرفة خلقيًا، وأنهم طلاب دنيا ومناصب ونساء، وذلك بهدف الحط من قيمتهم، وتزهيد الناس بهم.

17- الهجوم المستمر على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وتصويرهم بأبشع الصور، ودعوى أنّ ذلك تدخل في شؤون الخاصة.

18- إستغلال الأخطاء الفردية أو الجماعية من قبل بعض الأفراد من المسلمين أو الجماعات الإسلامية وتضخيمها وإتخاذها غرضًا ينفذون من خلاله إلى رمي الإسلام والطعن فيه.

19- تمجيد الغرب، وتعظيم دوره، بهدف إزالة الفوارق، وتحطيم حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين.

20- الإتكاء على بعض القواعد الشرعية – المنضبطة بقواعد وضوابط الشريعة – بقوة. ووضعها في غير محلها كقاعدة: (تغير الفتوى بإختلاف المكان والزمان) وغيرها.

21- إقتباس وجلب المناهج اللادينية من الغرب، وبثها في الصفوف الدراسية، وحذف النصوص التي تخالف أهوائهم.

22- الهجوم على السنة النبوية وحملتها.

23- الإحتفاء بالفتاوى الشاذة، ونشرها، وترويجها كالفتاوى التي تبيح الربا، والسفور أو غير ذلك.[1]

هذه وسائل تحقيق العلمانية إجمالًا، مع أنه لا يلزم من قال بشيء من ذلك، أو دعا إليه أن يُصنَّف، أو يوصم بالعلمانية، فقد يكون مجتهدًا، أو جاهلاً، أو متأولاً.

[1] - محمد بن إبراهيم الحمد ،رسائل في الأديان و المذاهب ، ص615-616-617.

2- آثار العلمانية على الغرب:

الملاحظ في القرون الوسطى عند الغرب كانت الكنيسة ورجال الدين مهيمنين على الشعب ويفرضون سيطرتهم عليه في شتى مجالات الحياة، سواء دينية، أو إجتماعية أو فكرية أو سياسية...إلخ. فلم يكن بوسع هذا الإنسان الغربي إلاّ أن يتبع خطاهم وأن يطيع أوامرهم، لكن هذا الأمر شد الخناق عليهم فلم يعد بمقدرة هذا الفرد التحمل أكثر، فقام بثورة على الكنيسة وذلك بإتباعه النهج العلماني الجديد الذي يحمل في طياته الكثير من آمال هذا الشعب و تغيير واقعهم به، فتجلى ذلك على مختلف ميادين الحياة للفرد الغربي وظهر ذلك من خلال:

- التقدم العلمي الهائل.
- الرخاء الإقتصادي الواقع الذي أصبحت تعيشه الدول الغربية ولم تحرمه شعوب العالم الأخرى.
- الإستقرار السياسي.
- احترام حقوق الإنسان وحرياته.
- انتشار الإلحاد بجميع صوره وأشكاله في الحياة الغربية لدى الشعوب.
- السيطرة الغربية على شعوب العالم الأخرى، إستعمارها، إستعبادها وإستغلال خيراتها والتنافس بين الدول الغربية في ذلك.[1]

رغم التقدم العلمي الذي حققته أوروبا في القرون الوسطى إثر إتباعها النهج العلماني والذي قام بإبعاد رجال الكنيسة عن التدخل في نظم الحياة وشؤون الدولة والإستقرار السياسي الذي حققه الإنسان الغربي إثر إتباعه النهج العلماني والذي فصل الدين فصلاً تاماً عن الدولة والسياسة حيث يقول روسو وهو يطالب بفصل السياسة عن الدين " إنّ الشعوب القديمة كانت تعبد الملوك وكان لكل دولة ملكها وإلهها في الوقت نفسه فكانت السياسة والدين شيئاً واحداً ولكن الأديان ومن بينها المسيحية بين العالم المادي والعالم الروحي ولا تشرع للمجتمع السياسي فلماذا لايكون لهذا المجتمع دين سياسي خاص.[2]

[1] – د.عوض بن محمد القرني، العلمانية التاريخ والفكر، ص3.

[2] – سفر الحوالي، العمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص 214-215.

والثورة التي أقامتها الشعوب الغربية وخاصة الثورة الفرنسية الرامية لتغيير الأوضاع وفي مقدمتها عزل الدين النصراني المحرف وهو ماكانت العلمانية ترمي وتهدف إليه خاصة للحضارة الغربية وقدمت لهم كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادي إلاّ أنها فشلت أن تقدم لهم شيء واحد وهو السعادة والطمأنينة والسكينة بل العكس قدمت للإنسان هناك مزيدًا من التعاسة والقلق والبؤس والتمزق والإكتئاب، وذلك أنّ السعادة والطمانينة أمور تتعلق بالروح والروح لا يشبعها إلاّ الإيمان بخالقها والإلتزام بأوامره وإجتناب نواهيه قال تعالى﴿هُوَ الّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المؤْمِنِين لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.[1]

وكيف تنزل السكينة في قلوب أناس أقاموا حضارتهم على غير أساس من الإيمان بالله تعالى وشرعه بل يحصل لهم هو مزيد من القلق والتعاسة والضيق والخوف يقول تعالى﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، وهذا ما أيده الواقع الملموس في البلاد التي ابتعدت على شرع الله، إنّ إبعاد الدين عن مجالات الحياة في الغرب كانت ولازالت من أهم الأسباب التي أدت إلى الإفلاس والحيرة والضياع وإن مما نتج على ذلك الواقع الذي تعيشه البلاد الغربية تذكر أهم المظاهر مايلي:[3]

1. الولوع والإنغماس في المشروبات الروحية والإدمان على المخدرات.
2. الأمراض العصبية والنفسية.
3. الجرائم البشعة بمختلف أنواعها كالسرقات والإغتصاب والشذوذ الجنسي والقتل وغيرها.
4. تأجيج الغرائز الجنسية بين الجنسين.
5. انتشار الأمراض المخيفة كالزهري والسيلان وأخيرًا يبتلي الله تلك المجتمعات بالطاعون الجديد وهو مرض ' الإيدز'.

[1] – سورة الفتح ،الآية 125.

[2] – سورة الأنعام ،الآية 125.

[3] – د:سعد الدين سيد صالح، بتصرف، أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط2، دار الأرقم، الزقازيق، 1413هـ، 1993م، ص219-220.

6. الإنتحار.

7. العنوسة والطلاق: اعتبار الجنس اللامشروع حرية شخصية أدى إلى غروف كبير عن الزواج عند الرجال وانخفاض في عدد المتزوجين فالغربيون أقل شعوب العالم رغبة في الزواج.

8. الغربة الإجتماعية: كثير من الغربيين يعيشون لوحدهم نتيجة عدم رغبتهم في الزواج أو رغبتهم في العيش خارج أسرهم.[1]

لذلك نجد أن الزواج فقد قل في المجتمعات الغربية إن لم يكن قد ندر وفترات الإختيار التي تسبقه قد تمتد لسنين وفي هذه الفترة قد يمارس فيها الزنا والفواحش وغالبا ماتنتهي فترات الإختيار بالإكتفاء بما حصل فيها، ثم الانتقال إلى إختيار آخر أو العدول على فكرة الزواج إلى فكرة المعاشرة الحرة الإختيارية بينهما دون أعباء الزواج.

فالمجتمع يعاني من التفككات والإنحلال وإنعدام العلاقات بين الجيران حتى إن الواحد إذا مات لا يعرف إلاّ من رائحته النتنة التي تتصاعد بعد أيام من موته[2] فالغربيون يعيشون حياة الضنك قال تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[3] وقال تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.[4]

إنّ العلاج الناجح لتلك الأمراض التي تعاني منها المجتمعات الغربية وغيرها إنما يوجد في تطبيق الإسلام، عقيدة وشريعة ومنهاج حياة على جميع الأفراد والجماعات إذ هو الدين الذي إرتضاه الله وإصطفاه وحده للناس جميعا في كل زمان ومكان وهو سبحانه أعلم بما يصلح أمور خلقه في دنياهم وآخرتهم.

[1] – عبد الدويهيس، العلمانية منبع الضياع، ط1، محرم1430هـ، يناير 2009م، ص79.

[2] – ينظر، علي جريشة، الإتجاهات الفكرية المعاصرة، ص92-93.

[3] – سورة الروم ،الآية 7.

[4] – سورة طه ،الآية 123-124.

3- آثار العلمانية على العالم الإسلامي:

للعلمانية آثار سيئة جدا على العالم العربي والإسلامي والتي أظلت الكثير من الناس عن طريق الحق وإتباع ماهو باطل حيث زيفت لهم الحقائق وأبعدتهم عن شرع الله فما كان على المسلمين ضعيفي الإيمان أن ينبهروا بهذا الفكر وإتباعه.

يرى الدكتور صلاح الصاوي أنّ " العلمانية والإيمان نقيضان فإن الإيمان يقتضي الإنقياد والإذغان لما جاء من عند الله، والعلمانية تقتضي التمرد على الوحي والكفر بمرجعيته في علاقة الدين بالحياة وإطلاق العنان للأهواء البشرية بلا حدود".[1]

وقد كان لتسرب العلمانية للعالم الإسلامي أسوأ الأثر على دينهم ودنياهم نذكر منها:

1- رفض الحكم بما أنزل الله وإقصاء الشريعة على كافة مجالات الحياة واعتبروا الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله تخلفا ورجعية وردت عن التقدم الحضاري.[2]

2- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية.

3- إفساد التعليم وجعله خادما لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

أ/ بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم.

ب/ تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن.

ج/ منع التدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم.

د/ تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها بحيث تبدوا وكأنها تؤيد الفكر العلماني أو على الأقل لا تعارضه.

هـ/ إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ومنعهم من الإختلاط بالطلاب.

---

[1] – د.صلاح الصاوي، موقف الإسلام من العلمانية، ص08.

[2] – ينظر، محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، ط1، دار الوطن، الرياض، 1411هـ، ص12.

و/ جعل مادة الدين مادة هامشية، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب.[1]

وهذا ما نلاحظ فعلا خاصة في الفترة الأخيرة أن مستوى الطالب أو التلميذ ضعيف جدا في مادة الشريعة حتى أنه لا يكاد يفقه شيئا عن الدين أو نجده يعرف القليل ولكن ليس بالطريقة الصحيحة ونرجع هذا الأمر إلى المنظومة التربوية التي كادت تمحو كل الآيات القرآنية من المنهاج الدراسي.

4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة وهم المسلمون وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد، وجعلهم جميعا بمنزلة واحدة، فالمسلم والنصراني واليهودي والمجوسي والشيوعي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم يتساوون أمام القانون لا فضل لأحد على الآخر إلاّ بمقدار الإستجابة لهذا الفكر العلماني.

5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم لبنيان الأسرة بإعتبارها النواة الأولى في البنية الإجتماعية وتشجيع ذلك والحضي عليه وذلك عن طريق:

أ/ القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة.

ب/ وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة بالتلميح مرة، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا.

ج/ محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.[2]

لم يكتف العلمانيون بإبعاد الشريعة الإسلامية تزييفها على مجالات الأنظمة السياسية والإقتصادية والعلمية فحسب بل تمادوا حتى إلى الأنظمة الأسرية وهدموا قواعدها وأسسها وعاثوا فيها فسادا أخلاقيا لأن هاته الأنظمة جاءت ملائمة لطبيعة الإنسان وغرائزه.

[1] – المرجع السابق، ص12.

[2] – نفسه، ص 13.

فالله تعالى حتى لا يجيد ويصرف تلك الغرائز والإبتعاد على المحرمات أمرنا بالزواج فقال تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[1]

وقال تعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾[2] وحرم الإسلام الزنا وحذر الإقتراب منها قال تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[3] وأمر تعالى بغض البصر وحفظ الفرج والتستر بالحجاب لكي لا يثير الفتنة بين المسلمين قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾.[5]

وبما أن العلمانية تهدف وتسعى إلى هاته التشريعات الإسلامية ركزت على النواة الرئيسية وهدمتها وبثت أفكارها فأصبحنا نرى كل أنواع الفواحش والفسق والمجون في مجتمعنا الإسلامي أصبحت هناك خمارات وبيوت الدعارة والشذوذ الجنسي ومختلف أنواع الألبسة التي لا تمت للإسلام صلة ومختلف قصات الشعر بالنسبة للذكور أصبح مجتمعنا الإسلامي متشبه كثيرا بالعالم الغربي.

6- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ومحاربة الدعاة إلى الله ومحاربتهم وإلصاق التهم الباطلة بهم وتصورهم على أنهم جماعة متخلفين فكريا وعقليا.[6]

7- الدعوة إلى القومية أو الوطنية وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح على ألا يكون الدين عاملا من عوامل التجميع بل الدين من مناظر هذه الدعوة بعد عاملا من أكبر العوامل التفرق والشقاق.[7]

ولا شكّ أن الفكرة القومية أو الوطنية وفدت إلى ديار المسلمين من الغرب والذي إحتضنها وغذاها ودعا إليها عقول غير إسلامية ولقد كان ظهور هذه الفكرة مصدر شر على المسلمين.

---

[1] – سورة النور، الآية 32.

[2] – سورة الروم ،الآية 21.

[3] – سورة الإسراء، الآية 32.

[4] – سورة النور ،الآية 30.

[5] – سورة النور ،الآية 31.

[6] – ينظر،محمد شاكر الشريف ، العلمانية وثمارها الخبيثة، ص14.

[7] – نفسه، ص21.

الفصـــــل الثاني

حضور العلمانية في رواية مملكة الفراشة.

- المبحث الأول : العلمانية ومنتجاتها الفكرية.

1- تحـــريف الحقائـــــــــــــق.

2- القيم والسلوكات متوائمة مع الحياة المعاصرة.

3- إحياء النعرات الجاهلية وتغني بالوثنيات.

- المبحث الثاني: صراع العلمانية مع الدّين.

1- الإسلام المعدّل على مزاج العلمانية.

2- الإســـلام منـــــزوع القداســـــة.

3- إضعاف الدّين في القلوب وعزله عن الحياة.

4- التلون بلـــوّن الشرع الإســـــلامي.

المبحث الأول : العلمانية ومنتجاتها الفكرية.

1- تحريف الحقائق:

- تعتبر العلمانية من الأفكار الغربية التي تحاول طمس الهوية الإسلامية ونشر أفكارها وتغلل في الأوساط العربية ، وتسعى لهذا بمختلف وسائلها ، إن الطعن في اللغة العربية ووصفها بالجمود، حتى يكرهها المسلمين ويستصعبوها بالتي ينقطعون عن فهم تراث أسلافهم وفهم نصوص الشرع وكلام الأئمة.[1] هي إحدى الوسائل التى تعتمدها العلمانية للحط من قيمة اللغة العربية بصفة عامة و الإسلام بصفة خاصة تحت مبدأ إعتماد أسلوب التلوين، و زخرفة الألفاظ، و تحريف الحقائق، في محاولات تمرير الأفكار العلمانية.

"ولد الإنسان حرًا في كل شيء، مثل الحيوان تمامًا، وعليه إن يظل كذلك حتى النهاية ويقبل بكل الخسارات التى تفرض عليه وهو في طريقه الى الحياة وممارسةالحرية لا كفكرة فقط ولكن كجنون حقيقي ".[2]

يتجسد هنا من قول "ياما" الوعي القائم لها بفكرة الحرية المطلقه، بمطابقة الإنسان بالحيوان وفك سلطة المقدس و الأعراف البالية، لا بتحكيم العقل ولكن بالجنون والتمرد كالحيوان الذي لا يسيره شيء سوى غريزته، لا كإنسان ميزه الله تعالى وقدسه عن باقي مخلوقاته بالعقل. فهي تضع الإنسان في مطاف الحيوانات الأخرى دون فوارق تشير إلى تكريم أو تمييز له كمخلوق على سائر المخلوقات.

يظهر تمرد " ياما " في ثورتها على كل ما يمت إلى الخط العربي و الإسلامي الجزائري .

وهذا ما فعلته عبر تغيير الأسماء و التحكم الضمني في المواقف التى أبدتها إزاء مقابلتها لمصطلحات العربية الأصلية بغيرها المبتكرة، بدءًا من إسمها، " ياما " الذي يكتشف القارئ حقيقته بعد ثمانية وسبعون صفحه (78) من المطالعة /القراءة .

تقول " ياما " :

[1] – محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان و الفرق والمذاهب، ص 616.

[2] – واسيني الأعرج، رواية مملكة الفراشة ، دار الصدى، الإمارات العربية المتحدة، دبي ، ط1، 2013م ، ص 41.

"إسمي الحقيقي طبعا ياما، وليس مارغيت من لا يعرفني سيقول أني أكره إسمي وحتى أسماء الناس المقربين اليّ من أهلي ... أنا لا أكره أي إسم ولكني مولعة بأسماء الكتب لأني أراها أكثر أصالة وصدقًا ... الإسم في الروايات والمسرحيات غير إعتباطي ... فأنتهي إلى فكرة أن[إسمه الحقيقي] هو ذلك الذي خلقته له، وليس الاسم الذي ألْصق به. فإسمه الذي يجره وراءه منذ عقود، هو فقط لنعت الكتله لا أكثر، بي نزعة طاغية لرفض المسلمات الجاهزة والشك في صحتها "[1]

تعبر "ياما" بوعيها الفعلي عن طبيعة الفكر الذي تتبناه، وهو ذو فلسفة طبيعية تقترن أساسًا بفلسفة الشك والتجريب، فنجدها تعبر عن ذلك بصراحة بقولها : " بي نزعة طاغية لرفض المسلمات الجاهزة والشك في صحتها " [2]

حيث تمضى "ياما" في مشروعها الفكري الذي يستدعي تغيير الأسماء وخلق هوية جديدة لها، غير تلك التي يعرفها الناس.

وهذا الوعى ناتج عن تأثرها بأسماء الكتب الغربية إذا ترى أنها أكثر أصالة وصدق، فسعى وعي ياما إلى تغيير أسماء كل من تعرفهم، فقد غيرت إسم أختها ماريا إلى كوزيت، "...أختي ماريا أو كوزيت كما سميتها"[3]

ومن "خديجة" إلى "فيرجي" تحول إسم أمها، "فريجي... هي أيضا غيرت إسمها الأصلي الذي بدالي ثقيلا: فريجة "[4] ، و إسم كل أعضاء فرقة ديبوجاز "داود، ديف كما أسميته (...) جواد أو دجو ... رشيد أو رستا...حميدو أو ميدو ...صفية أو صافو".[5]

تتواصل لعبة ياما في تغيير الأسماء، فقد غيرت إسم والدها "الزبير" حولته إلى " زوربا " شخصية ورقية للروائي اليوناني "نيكوس كازانتزاكى" فالزبير بن العوام "في نظرها مقاتل عنيف.

[1] – الرواية، ص78.
[2] – نفسه، ص78.
[3] – نفسه، ص11.
[4] – نفسه، ص12.
[5] – نفسه، ص14.

تقول " ياما ": " أريد لبابا زبير حياة أخرى أهدأ و أنعم غير حياة الحروب التى يكرهها اشتهيت لوالدي قدر زوربا الإغريقي الذي عاش الحياة بكل عنفوانها السخي" [1].

تواصل ياما إستراتيجية مسح الهويات و تغير جذورها عبر تقنية اللعب و تحريف الأسماء، فمن الزبير إلى زوربا، تغير إسم والدها ،ومن نعمان إلى رايان ، تبدل إسم أخاها ، و إنتفى إسم "مراد" عمها إلى "ميرو"، و صديقها "فادي" إلى "فاوست"، "نور الدين_ديدي"،"زوليخه_زورو"...

يتجسد هوس "ياما" بتغير الأسماء من العربية إلى الغربية إلى تقليل من قيمة اللغة العربية و تراثها و أسمائها وصولاً إلى الصحابة الكرام ،و تشكيك فيهم ، بينما تمجد الأسماء الغربية وتحاول بفلسفتها أن تقنع الكل بأن أسماء الكتب الواهية و الشخصيات الخيالية تليق بهم أكثر وتعبر عنهم وتجسدهم وكل هذا الهوس ناجم عن تأثرها بالآداب الغربيه التى لا تحكمها لا أخلاق ولا قيم ولا دين لتعكس هذا في مجتمعها العربي المسلم متجاوزة كل الأعراف وتكسر كل الحدود، كأنها تحاول أن تنكر هويتها وأصلها كما عمدت إلى تغيير الموجودات، فبدأت بتغير الأسماء جواد، ليلى، محفوظ إلى موازارت، سايسونس، فيردى، بيزي[2]، وهكذا صارت إحالت الأسماء إلى كائنات هجينة تفقد أصلها وتعيد بناء ذاتها عبر استيعاب كل أشكال البناء الفكري الذي تطرحه الشخصية الرئيسية .

- سلك العلمانيون في سبيل تحقيق مأربهم وسائل عديدة ، منها لبس الحق بالباطل و ذلك من خلال طرق العديد من الموضوعات بإسم الإسلام، كالإختلاط وغيره[3] وذلك من خلال إعتماد أسلوب التلوين، وزخرفة الألفاظ، وتحريف الحقائق ،في محاولات تمرير الأفكار العلمانية، أو محاولة إستخراجها من الدين الإسلامي نفسه، مما يدل على إنحسار العلمانية أمام الصحوة الإسلامية .

حيث تعرض لنا الرواية صورة "سيرين أم الخير" كمواطنة جزائرية مسلمة ،تسعى جاهدة للتعرف على كل ما يمت إلى الدين الإسلامي بصلة لاسيما إهتمامها بالدعاة المشايخ وما يصدر مهنم من كتب حول الدين و الدنيا، تبذل كل نفيس نظير الحصول على العلم الشرعي ؛ تعبر عن

[1] – الرواية، ص 99.

[2] – ينظر: نفسه، ص 86.

[3] – محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان و الفرق والمذاهب ،ص 615.

ذلك صراحة في قلوبها : "سافرتُ من هنا للقاهرة لأسمع للشيخ عايض القرني في معرض الكتاب حكمة عظيمة . في منجزه: لا تحزن . قليلا ما نجد عند إنسان مثله ".[1]

إلا أن سيرين تتعارض مع نفسها فهي في ذات الوقت تفتح نافذتها الخاصة في الفايسبوك للتعارف مع أشخاص في جميع أصقاع العالم ، ومن جميع الإنتماءات الفكرية ودينية وهذا هو ما أنتج علاقة صداقة بينها وبين "ياما" على صفحات الشبكة العنكبوتية ، جعلتها تنفتح على عالم مغاير لموقعها و فكرها ، نظرًا لغياب بنية فكرية منظمة وشاملة تتخذها —سرين- مرجعا أساسيا لتفسير سلوكها ، وهذا ما أدى بها إلى الدخول في المحظور ومن هذه الزاوية نعرض الحوار التالي:

- انت شابة وجميلة، لكن جسدك مسجون
- من هذه الناحية ما تخافيش ، رحمة ربي واسعة...لا يخلف مطلقا لعبده وعدًا.
- ... لم أفهمك جيدًا يا سيرين
- بسيطة حبيبتي، في كل ليلة عندما تكبر شهواتي وتفيض عليّ، اصبرو ولا أسقط في الرذيلة .أستحم وأتعطر كما تفعل أيه إمرأة معشوقة مع بعلها، ثم أنام مهيأة بجنون الرغبة وهذا ليس حرامًا ابدًا ،كل شرائع الدنيا تحل الإستحلامات .[2]

يبين لنا الحوار السابق ، قصور الوعي الديني لدى "سيرين أم الخير "التى راحت تتكلم به مع "ياما" دون وعي منها أى بوعي سلبي زائف، وهذا ما يستفاد من وصفها لطريقة العادة السرية النسوية ؛ في مشهد شبقي ، يدفعها إلى التناقض وعدم التحكم في النفس أمام رغبات الجسد في علاقاته الوجدانية و الإيمانية مع الملائكة ، لتصور بذلك سلبية المعتقد — تجاه الملائكة الكرام- التى عبرت عنها صراحة من خلال الصفحات [3] .

[1] - الرواية، ص 82.

[2] - نفسه، ص106-107.

[3] - ينظر، الرواية، ص 107-108-109-110-111.

يظهر وعي "سرين" السبلي الخاطىء، الذى ينم عن جهل بفقه العبادات ؛ في قيامها إلى الصلاة دون الوضوء بعد إنتشائها من عادتها السرية الشبقية مع تقديم دعوة مباشرة لصديقتها "ياما" لقراءة القرآن و ظرورة الإلتزام بالدين وهذا ما جعلها تتناقض مع ذاتها .

- تتوضئين

- لا أحتاج إلى ذلك بعد حمام الملائكة الذي يزيل عنا كل شيء ، صحيح وهل هناك أجمل وأنظف و أبهى من دفء و حمام الملائكة؟[1]

تمثل "سرين" الحامل السلبي لثقافة الدين الإسلامي نظرًا للقصور المعرفي في استيعابها مقتضيات الحياة الاجتماعية الراهنة و عجزها عن بناء رؤية سلمية أو زاوية نظر حادة حيث أدى الوعي السلبي الزائف لها لدخول في متاهات ، أدت بها في غالب الأحيان إلى الوقوع في متناقضات ، و تصوير الثقافة الإسلامية و أعرافها بصورة خاطئة و سلبية تدل على جهل الشخصية بالدين من خلال دخول في المحظور ، و لبس الحق بالباطل و ذلك بطرح المحرم بإسم الإسلام و تحريف الحقائق .

ويظهر تناقض "أم الخير" في وعيها السلبي جليا في حوارها مع "ياما":

-"ياما" ...أختي ...الله يهديك للخير ؟ استغفري ربك.

-أنا لم أقل هذا .ولكن شوية للرب ،و شوية للعبد .أن يوازن الإنسان بين دينه وأخراه.[2] أصل هذا المثل "شوية للرب و شوية لقلبي " هو مثل شعبي يعني أن أفعال الإنسان ليست كليا في وجه الله و مترفعة عن كل غرض و أنانية.[3]

ويضرب هذا المثل حينما ينساق الإنسان وراء ملذات الحياة ،و يبتعد عن آخرته . وقد جاء في موضع تنصح به "أم الخير" صديقتها "ياما"، حينما طلبت منها عدم تلطيخ إسم والدها بشخصية غريبة تبتعد فيها عن الأخلاق وتخدش فيها الحياء .من هنا يتواصل الوعي السلبي "لسرين" بدينها فالمسلم الواعي يعلم أن الإنسياق وراء الحياة و ملذاتها، فيه معصية لله عز وجل ، وهذا ما يجعل

[1] - الرواية، ص111.

[2] - نفسه، ص 104.

[3] - قادة بوتارن .الأمثال الشعبية الجزائرية ، تر:حاج .صالح عبد الرحمان ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، ص237.

الدين يضعف في قلبه و ينساق نحو المحضور ليمثل صورة الإسلام المتضاربة مع قيمه و يشوهه وهذا جسّده نصح "سيرين" لصديقتها بأن تتذكر الآخرة ولا مانع أن تنساق وراء الدنيا .

لذا نرى أن الإسلام الذي يتحدثون عنه ليس الإسلام الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال عنه "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ".[1] وإنما إسلام جديد منفتح وغير منغلق، وغير مكتمل بعكس ما أراده البارئ عز وجل "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"،[2] إنه إمتداد لدين العقل كما عند فلاسفة النهضة الأوروبيين والذى استعاضوا به عن المسيحية.[3]

وهذا ما تجسده لنا الراية .

2- القيم والسلوكات متوائمة مع الحياة المعاصرة:

- إن الهدف الأساسي للعلمانية هو إبعاد شباب المسلمين عن الإسلام بطرق غير مباشرة ، فمن مبادئها أنها تدعو إلى المعاصرة و موالاة الغرب في الأخلاق والسلوك ،فهي تقوم على نظام إجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية و الخلقية على إعتبارات الحياة المعاصرة و التضامن الإجتماعي دون النظر إلى الدين.[4]

إذ أن من سلوكيات المجتمعات الغربية هى تحرر الفرد في خياراته و قرارته و كل ما يتعلق بحياته أي ليس لأي شخص الحق بالتدخل في حياته وحتى الوالدين ، وهذا مانجده تجسد وبكثرة في الرواية و حيث تعرض علينا صورة ياما المتمردة على والدتها والكاسرة لكل الحواجز الأخلاقية المعروفة ؛ إذ ترى ياما نفسها حرة في كل ما يخصها ويتعلق بحياتها . وتجلى هذا من خلال الحوار الذي دار بين ياما و والدتها حيث طلبت منها أن تقطع علاقتها بديف فقالت :

- يمّا يعجبك . ما يعجبكش . حياتي وتخصني وحدي

[1] – سورة آل عمران، الآية 85.

[2] – سورة المائدة ،الآية 6.

[3] – ينظر، د.محمد ادريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم، الرياض، ط1، 2007م، ص832-833.

[4] – صلاح الصاوي، موقف الإسلام من العلمانية، ص6.

– و أنا .أمك ؟ و إلا خضرة فوق طعام ؟

– أنتِ أمي. نقطة على سطر.[1]

"خضرة فوق طعام" هو مثل شعبي يضرب هذا المثل بالحالة المهمشة التى يعيشها الشخص بين أفراد مجتمعه وغيرهم ،إذ لا يحق له التدخل في شؤون غيره وإبداء رأيه مهما كانت القرابه التى تجمع بين هذا الشخص ، وهذا ما أكده الحوار الذي دار بين ياما و والدتها ، إذا طلبت ياما من والدتها عدم التدخل في حياتها ،و بإسلوب فض وغير محترم ،كما أن نقطة النهاية في ملفوظ: أنتِ أمي . تعرب عن العلاقة البيولوجية دون غيرها. أي–الروحية– وتتالي ملفوظ: "نقطة أرجع السطر" دلالة قطيعة لثبوت تبنى الموقف المتمرد على رقابة الوالدين ،التى تعيق حرية الفتيات في المجتمع .

وهذا طرح مناقض لما هو معروف عند المجتمعات المحافظة، أن الأم لها دور كبير في تقديم النصائح التى تخص مصالح إبنتها، و يتوجب على البنت طاعة و إحترام الوالدين فهذا ما يحثنا عليه ديننا. إذ أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالإحسان إلى الوالدين .قال سبحانه﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2]

نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح وأمره بالقول الحسن والفعل الحسن قل لهما قولا كريما أي ليّنًا طيّبًا حسنًا بتأدُّبٍ وتوقير وتعظيم[3] . وهذا معاكس لما تجسد في حوار ياما مع والدتها بقولها "حياتي وتخصني وحدي" أي أنا حرة في حياتي ، وكذا عند رد ياما على والدتها. أنتِ أمي نقطة أرجع لسطر هنا تتمادى ياما في أسلوبها الفض في رد على والدتها وأنها في حياتها لها دور الأم لا أكثر و لا يحق لها إبداء رأيها بما يخصها.

[1] – الرواية، ص40.

[2] – سورة الإسراء، الآية 23.

[3] – إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم (تفسير إبن كثير)(ط.طيبة) ،تح ، شامي بن محمد السلامة، ج5،ص65.

يتجسد هنا وظيفة أخلاقية تلاشت في المجتمع إذا تمادت ياما في تحررها حتى تجلى ذلك في اللامبالاة التي جسدتها في فضها لأراء والدتها ؛ وهذا سلوك متجلّ في الثقافة الغربية وهذا ما تسعى العلمانية إلى نشره وسط المجتمعات العربية بأن يتصبغ الفرد السلم بأخلاقياته دون النظر إلى الدين .

- إنّ العلمانية المادية غيّرت مفهوم الاخلاق والقيم، فهي ترى أن "الأخلاق لا علاقة لها بالفضيلة أو الإحتياجات الروحية أو المعنى، وإنما لها علاقة بالسعادة (اللذّة) والمنفعة، فعُرِّف الخير والشر تعريفاً ماديا وكميا، فالخير هو مايدخل السعادة (اللذة) على أكبر عدد ممكن من البشر، ومايحقق لهم منفعة، والشر هو عكس ذلك، أي ما يسبب الألم والضرر... ومن هنا أصبحت القيمة مسألة إجتماعية، أي أنّ المجتمع هو الذي ينتج القيمة، وليست القيمة هي التي تحكم المجتمع".[1]

إذ تقوم على نظام إجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرو وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على إعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الإجتماعي دون النظر إلى الدين، أي تدعو إلى موالاة الغرب في الأخلاق والسلوك من خلال الأدب الماجن والرخيس. ومايلفت إنتباهنا في الرواية هو التغني كثيرا بالتعري والعلاقات المحرمة بإسم الحب والحرية.

إذْ تقول "ياما" في إحدى المقاطع وهي تكتب رسالة إلى "فاوست" صديقها، تحكي له فيه عن حلم جمعها به "فاوست حبيبي...رأيتني في لحظات الإغفاء...كنت حافية القدمين، ممتلئة القلب، وشبه عارية... لكني في اللحظة ذاتها أستيقظ عارية مثلما خلقتني أمي لا خجل على ملاحي...ولأني أفتقدك بشدة...أحبك فاوست حبيبي...شكرا على حلمك المجنون، فقد منحني أول فرصة للتعري وأذاقني ملذات خلوة الفراشات"[2]يعكس لنا هذا المقطع صورة "ياما" المتحررة من كل القيود والأعراف الإجتماعية والدينية، إذا تتكلم عن حلمها بكل سعادة لأنه جعلها تعيش لحظات فرح وجنون وأذاقها ملذات مع حبيبها ومنحها فرصة التعري معه، إذ لا تجد ياما خجلا من هذا الفعل بل تتمنى لو أنه حقيقة.

[1] – د.عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ص52-54.

[2] – الرواية ، ص59-60.

وقد تكرر هذا كثيرا في الرواية[1] ، إذ تعبير "ياما" عن رغباتها وحبها وتمنيها أن تجتمع بحبيبها لتشبع هذه الرغبات وتعيشها حقيقة. ترى ياما في علاقتها المحرمة مع صديقها "فاوست" بأنها لا ترتكب أي محرمات ولا رذائل، إذ تدفع بها حريتها إلى تصور فردي يسعى لتغير القيم الإجتماعية السائدة، وفق منظور فكري يقدم ذاته كبديل لما هو قائم، فتصرح بهذا في قولها:

"فقد كنت عندما أرى فاوست في الحلم، ألبس به وأعشقه حقيقة وأحبه...ثم يغرقني في جنون لا أستطيع وصفه لأننا نرتكب فيه كل الحماقات التي وضعو بيننا وبينها سدا منيعا من الكذب والرياء.حتى تلك التي يراها سدنة الحلال والحرام غير جائزة...".[2]

يعكس لنا هذا فعل التمرد والثورة على القيم والمبادئ المتوارثة سواء فيما تعلق بالقيم الدينية او الإجتماعية ، فهي ترى في تحريمها الكذب والرياء، متجاوزة ومشككة في الدين وتعاليمه التي تحرم الزنا بأنواعه .

وهكذا فإن العلمانية التي أزاحت الدين وأزاحت معه القداسة والقيم والأخلاق، صبغت كل المجالات الحياتية بهذه الصبغة المجردة عن المرجعية وعن القيمة، وظهر ذلك في السياسة والإقتصاد والفكر والعلم ، أيضا في مجال العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، حيث إعتبر الجنس مسألة (بيولوجية) لاعلاقه لها بالأخلاق ، أي مسألة بين الذكر والانثى بلاقيود ولاضابط ولاتصعيد، وكانت الحمأة الدنسة التي تردت فيها البشرية ، الشعار الجنسي المجنون الذي لايشبع ولايرتوي ولايفيق[3].

وتلك الأفعال التي تعبر عن الحلم؛ ماهي إلاّ نشر للثقافة الغربية، و نقد الفكر السلفي الأصولي ، القطعية مع التراث...

[1] – ينظر، الرواية، ص48-55-56-326 ...

[2] – نفسه، ص380.

[3] – د.عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، ص487.

- تنادي العلمانية بالحرية المطلقة للإنسان، وتحطيم كل القيود التي تتحكم وتكبت هذه الحرية، وهذا شعار الفكر الغربي، إلا أنّ العلمانية تسعى إلى نشر أفكارها وتغلغل في المجتمعات العربية، فمن مبادئها أنها تقوم على نظام إجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على إعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الإجتماعي دون النظر إلى الدين[1] فهي تدعو إلى موالاة الغرب بتحرر من الدين وأخلاقيات المجتمعات المحافظة. ويتجلى في الرواية من خلال الشخصية الرئيسية "ياما" التي تستأنس إلى منطق الحرية المطلقة وعدم الإكتراث بالأصول سواء الدينية أو الوطنية، فهي تقبل بفكرة الزواج بغير المسلم. وهو مايتنافى والتشريع الإسلامي الذي يضبط تدفق القيم الإجتماعية وكذا هو الرافد الأساسي للهوية الجزائرية.

- مسلم.
- سؤال غريب. وهل الأمر مفيد إلى هذه الدرجة؟ متى كنت تتكلمين عن الدين يا يمّا؟
- هل هو مسلم؟ أسألك فقط. لاعيب في ذلك.
- لم أسأل هو لست مهتمة[2].

يتبين لنا من خلال هذا الحوار أنّ "ياما" تنادي بفكرة الحرية المطلقة بعيدا عن التمايزات والإختلافات وتجاوز فكرة الإختلافات الدينية والعرقية تحت مبدأ حرية الضمير وحرية التدين وكذا بأن الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه، وقيام القيم السلوكية على إعتبارات الحياة المعاصرة دون النظر إلى الدين. فمن خلال قول ياما "متى كنت تتكلمين عن الدين يا يمّا" إستهزاء بالدين، وكذا في قولها "لم أسأله ولست مهتمة" فعل التمرد على القيم والمبادئ المتوارثة، سواء فيما تعلق بالقيم الدينية أو الإجتماعية.

يقول الأستاذ محمد قطب "ربما لم يكن هناك مجال تأثر بالعلمانية بقدر ماتأثرت الأخلاق.. ذلك أن الدين هو المنبع الطبيعي للأخلاق، فإذا جفف هذا المنبع بسبب من الأسباب، فلابد أن يتبعه حتما إنهيار تدريجي في الأخلاق ينتهي إلى اللاأخلاق. وقد كانو في بداية عهد النهضة يحاولون

[1] - ينظر، أنور الجندي، سقوط العلمانية، ص6.

[2] - الرواية، ص38.

البحث عن منبع للأخلاق غير الدين، ولكن المنبع البديل أثبت عجزه عن إنبات القيم التي يحتاج إليها الإنسان.[1]

وهذا ماجسدته أخلاقيات ياما المترفعه عن الدين وقيمه وأعرفها العربية .

- من أسباب دخول العلمانية للبلاد العرب والمسلمين؛ هو تقليد الاعمى للغرب، فبدلا من الإفادة مما عنده من تقدم، ورقي مادي تجد بعض المسلمين يقلدونهم في مستهجن عاداتهم، ومرذول طرائقهم في الحكم، والسياسة، والاخلاق وماجرى مجرى ذلك .[2]

ونجد الرواية يطغى عليها كثيرا الفكر الغربي المتحرر من كل قيم وأخلاق المجتمع العربي المسلم و هذا نلمسه من خلال المقطع التالي:

"تعشيت مع أمي لأخفف عنها شطط ريان الذي قهرها وضعه لأول مرة منذ وفاة أبي لم تفعل ذلك. طلبت مني كأسًا من النبيذ الأحمر الذي كانت تحبه بالخصوص نبيذ معسكر الذي كان يذكرني بجد ديف. بابا زوربا أيضا كان يتذوقه. أمي التي لم تكن شريبه كبيرة، كانت تسايرني أنا وبابا وزوربا عندما نتمادى قليلا رافعة نخبنا أيضا بفرح ظاهر"[3] .

يعكس لنا هذا المقطع ياما وهي تحتسي الخمر مع والدتها، هنا تعرض لنا صورة ياما كإمرأة متحررة من كل قيد إجتماعي وأخلاقي وديني نلاحظ من السياق أن العائلة كانت سببا رئيسيا لزرع هذا الفكر المتحرر من أخلاقيات المجتمع المتدين تجسد هذا في قولها "كانت تسايرني أنا وبابا زوربا عندما نتمادى قليلا رافعة نخبنا هي أيضا بفرح" حيث يثبت لنا هذا المقطع أن ياما كانت تحتسي الخمر مع والدها، على رغم من أنه محرم في الإسلام. إلاّ أن ياما تصور المشهد الذي كان يجمعها هي ووالدها وأمها وهم يشربون الخمر بفرح وسعادة كالعائلة غير مسلمة وليس لها علاقة بالدين الإسلامي وأخلاقياته وأعرافه التي تحرم شرب الخمر.

1 – ينظر، محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص483-484.

2 – محمد ابراهيم ، رسائل في الأديان و المذاهب ،ص 593 .

3 – الرواية، ص193.

التقليد الأعمى للغرب في مستهجن عاداتهم هذا مايعكسه لنا شرب الخمر من طرف ياما وعائلتها وخاصة والدها حيث يؤكد قول ياما "أمي لم تكن شريبة كبيرة، كانت تسايرني أنا وبابا زوربا..." أنّ ياما ووالدها كان يشربونه بكثرة. كل ماضاقت بهم سبل وأرادو ان ينسوا مأساتهم ويفرحوا قليلا، مشهد يعكس موالاة الغرب بعيدا عن كل القيم السلوكية والخلقية دون النظر إلى الدين.

تقول ياما " نبيذ معسكر الذي كان يذكرني بجد ديف " جد ديف اليهودي، يثبت لنا هذا المقطع أنه شرب الخمر ليس من أخلاقيات الفرد المسلم بل من أعراف المجتمعات الغربية اليهودية والمسيحية .

- لقد بلغت المجتمعات الغربية قسطا وافيا من التقدم والرقي الحضاري الذي بني على الفكر العلماني والذي يشمل شتى مجالات الحياة الفكرية والفنية والأخلاقية .

فأرادوا نقلها إلى الحضارة العربية بالعديد من الطرق ،بحيث نجد الكثير من فآت المجتمع العربي قد تأثروا بهذا الفكر، وبهذا الانفتاح بالحضارة الغربية .

فهذا الانفتاح أدى إلى " إضعاف الدين في قلوب وعزله عن الحياة وفتح الباب أمام المسلمين لتقبل الثقافة الغربية المستعمرة "[1]. فالعلمانية تقوم بفرض نظام اجتماعي يقوم على مقومات حظارية معاصرة .

وعندما نعود إلى الرواية والبحث في طياتها على مظاهر هذا الانفتاح نجدها تتجلى في العديد من المواضع بحيث نجهدها:

- **موالاتهم في الفن والموسيقى:**

للموسيقى حضور لافت في الرواية ، نجدها تتمثل في فرقة ديبو . جاز.

1- محمد إبراهيم بن الحمد ،رسائل في الأديان والفرق والمذاهب،ص611.

فالديبو . جاز هي عبارة عن فرقه موسيقية لمجموعة شباب مولعين بحاضرهم وهوسهم الموسيقى والفن تقول "ياما" : "كانت فرقة الديبو . جاز مكونة من شباب مولعين بحاضرهم وبعطر المدينة"[1]، فكان إسم الفرقة وآلاتهم الموسيقية مستوحات من الثقافة الغربية "سميناه الديبو جاز لأن كلمة ديبو تعني المخزن في اللغة الفرنسية ،وجاز مرتبطة بعالمنا الفني ....أنا على الكلارينات ،جواد أودجو على الساكسو ،أنيس على القتارة الجافة،شادي على الكلافية ،رشيد أو راستا على الباس ،حمسدو أو ميدو على الباتري والطبل الإفريقي،داوود ،أو ديف على الهارومينما والقيتارة الكهربائي ويصبحون ثمانية إذا أضفنا عازفة البيانو صفية أو صافو"[2].

فولائهم الشديد نحو التراث الغربي جعلهم يتخلون على تراثهم وأصالتهم بالهوس بموسيقى "الجاز Jaaz"[3] الأمريكية ؛ فنجد ياما المتشبعة بالثقافة الغربية تعلمت العزف على الكلارينات[4] رغبة منها وتلبيةً لرغبة أمها المتأثرة بالفنان "بوريس فيان Boris Vian" إذ تقول " تعلمت العزف عليها محبة في أمي ومجاراة لها .وضعتني في المدرسة الفرنسية ألكسندر دوما (...) لكن أمي أصرت على الكلارينات التي كانت هي ايضا تحبها ،بالخصوص عندما بدأت تكتشف حبيبها بوريس فيان "[5] .

كانت الأم تريد أن تتميز إبنتها أو بالاحرى أن تنسلخ من هويتها بأن تدرسها في مدرسة فرنسية وتتعلم الموسيقى وبالتحديد على آلة الكلارينات الغربية "كانت أمي تريدني خارج الناس أن لا أشبه أحدا"[6].

هوس ياما وأمها بالثقافة الغربية جعلها مصره أن تتعلم العزف على هذه الآلة ،رغم رأي أستاذها الذي نصحها بالتخلي على هاته الآلة لأن صوتها لا يتناسب معها ونصحها بالتعلم العزف على آلة

1- الرواية ،ص14.

2- نفسه ،ص15.

3 – موسيقا الجاز : (الموسيقى) موسيقا راقصة من أصل زنجي أمريكيّ تجمع بين النّغم المستمرّ والنغّم الموقع المنقطع .

4 – الكلارينات: آلة غربية نفخية قديمة فيها ثلاثون ثقبا لتغيير الصوت بتغيير طال الموجة بعض هذه الثقوب مغطاة بمفاتيح خاصة بينما تسد الثقوب الآخرى بأصابع العازف يبلغ طول الكلارينات حوالي 66 سم وله مجال صوتي يبلغ ثلاثة اوكتافات ونص .

5 – الرواية ، ص16.

6 – نفسه .

الدف أو البندير، تقول :"كان تعلم العزف بالنسبة لي على هذه الآلة رهانا حقيقيا لأثبت لأستاذي الغبي أني كنت قادرة على كل شيء ،وأملك نفسا أقوى من نفسه وأني لم أكن في حاجة لتعلم الضَّرب على الطار أو الطبل أو الدف لأن يدَّي صغيرتان ... ظللت زمنا طويلا أحمل غضبا من أستاذ اللغة العربية ،في مرة من المرات ذهبت نحوه بنص صغير لهكتور برليوز Hector Berlioz مأخوذ من كتابه :دليل الآلات الموسيقية والأوكسترالية الحديثة. وسألته فقط ليدرك أن منعه لم يكن في محله:

لماذا تكره هذه الآلة يا أستاذ ؟مع أن صوتها جميل ؟.

... كنت أعرف أنه لايتقن الفرنسيه ومع ذلك قرأتها له بالغة التي كان يكرهها ... "[1]

تنعت أستاذها بالغبي فقط لأنه نصحها بآلات عربية كالطبل والدف، وتتحداه بتعلم الكلارينات بدلها وتواجهه بنص فرنسي عن هذه الآلة رغم علمها بانه يكرهها ولا يتقنها، تتهجم "ياما" على كل مايتعلق بتراثها ولغتها العربية، وفي لمقابل تمجد كل ماله علاقة بالغرب حتى لغتهم وترى في هذا فخر وإعتزاز لها .

– التأثير بالشخصيات الغربية :

تسعى مبادئ العلمانية بمختلف وسائلها على تأثر العرب بالغرب والانفتاح عليهم والأخذ من ثقافتهم؛ لتمرير أفكارهم ومعتقداتهم بطرق غير مباشرة ، "رفع من قيمة الأقزام المنحرفين وذلك من خلا الدعاية المكثفة لهم وتسليط الضوء عليهم وإظهارهم بمظهر العلماء والمفكرين ، وأصحاب الخبرات الواسعة والقرائح المثقفة ؛ويهدفون من وراء ذلك أن يكون كلام هؤلاء مقبولا عند الناس" [2]. فنجد ياما هي أكثر شخصية متأثرة بالشخوص الغربية سواء كتاب أو موسيقيين، إن هوس "ياما"

[1] – الرواية ،ص18.

[2] – حمد إبراهيم بن الحمد ،رسائل في الأديان والفرق والمذاهب ،ص612.

بالهويات الإعلامية للرواية الأوروبية الحديثه ورثته من أُمها ، تقول: "فيرجي كانت معلمي الأول في القرأة وحب الأدب وتعلم اللغات .

هي من منحتني كتابا لأول مرة بالفرنسية ثم بالإسبانية ثم بالإنجليزية ثم بالعربية التى لم تكن تتقنها كما يجب ..."[1].

أثرت هذه الروايات في فكر "ياما" بشكل كبير، وتجلى هذا من خلال التشبيهات التي وضعتها للمقابلة بين شخصيات هذه الرواية وشخصيات من تعايشهم وتحي بينهم. وهي بهذا العمل تسعى إلى مسح هويات وبناء هويات جديدة؛ تتماشى ومنطق وفكرة التغيير التي تحملها .

ويمكن أن نورد في هذا الموقف إطلاقها اسم "كازيمودو"على احد المارين بالكنيسة،وهذه التسمية نابعة من علاقة التشبيه و التمثيل الشكلي بين الشخصين –المشبه والمشبه به– فكلاهما أحدب الظهر. كما أنهما يتماثلان في طبيعة السلوك الإنعزالي وهذا مايستفاد من تقديم الراوي لشخصية المشبه به –كازيمودو– عبر إحالة الرجعية إلى الهامش. يقول الراوي :

"تدور أحداث الرواية في سنة 1842 في باريس "كازيمود Quasimodo"، اليتيم المعوق، هو المكلف بأجراس نوتردام. يعيش في غزلة كبيرة في ظل سلطان سيده جوج فرولو Juga Frollo أصدقاؤه الوحيدون هم منحوتات الحيوانات الأسطورية والحجارة المنقوشة وشبابيك الطيور. يحلم كازيمودو بان يعيش بين كل الذين يراهم من فوق منذ زمن بعيد. ولم يقترب منهم أبدا. ذات مرة يحدث ماانتظره زمنا طويلا في حفلة المجانين. يعصي أوامر سيده فرولو وينزل ليختلط مع الشعب الذي تجمع ليحتفل بالسنة الجديدة"[2]

إضافة إلى ماتقدم، نضيف حضور إسم "زوربا" بطل رواية الكاتب اليوناني "نيكوس كازانتزاكي Níkos Kazantzákis"[3] الذي عقدة "ياما" مقرنه بينه وبين شخصية "الزبير بن العوام"–رضي الله عنه– من جهة وبين شخصية "زوربا" الورقية من جهة ثانية. وبين هذين الأخيرين ووالدها من

[1] – الراية ،ص223.

[2] – نفسه ،ص265.

[3] – نيكوس كازانتزاكي: من أبرز الكتاب اليونانيين في الشعر والسرد، ولد 1883_ت1957.له عدة أعمال منها: زوربا، الإخوة الأعداء... ينظر الرابط WWW.goodreads.com .

جهة ثالثة. وقد ورد هذا في إطار حوار "ياما" مع "سيرين أم الخير" حول اصل التسمية التي فضلتها لوالدها –زبير– والتي تقضي تغيير المرجع الهوياتي من العربي الإسلامي إلى الغربي المقترح.

كما نضيف إسم "فرجينا وولف"[1] الكاتبة الانجليزية صاحبة رواية الأمواج، التي ورد ذكرها من خلال مطالعة "ياما" فنجدها بعد قراءة الرواية تستبدل اسم والدتها من "فريجة" إلى "فيرجي" نظرا للطبيعة التي تجمع بين شخصيتين في نظرها وهي طبيعة الفرد الذي يبحث عن تحقيق ذاته وسط العوائق والصعوبات. وقد تواترت الأسماء الاعلامية في الراية ،ومن ذلك نورد إسم "كوزيت" إحدى شخصيات رواية البؤساء ل "فيكتور هيغو Victor Marie Hugo"[2] الذي اتخذته "ياما" بديلا لإسم أختها "ميرا".

تتواصل لعبه تغيير الأسماء وإستحضار شخصيات وهمية وروايات عالمية لكتاب وادباء غربيين، منها رواية "سأذهب لأبصق على قبركم ل بوريس فيان Boris Vain "[3]. وراية الإنتقام ل "فيرنون سولفيان Vernon Sullivan" ...

رغم أن الرواية تتحدث على أحداث في بلاد عربية، إلا أننا نجد أنه قد غلب عليها الطابع الأجنبي، إذ تستحظر الرواية الكثير من الأسماء الغربية المختلفة بين أدباء وفنانين وشخصيات وهمية لكتاب الرواية الأوروبية، وهذا ما يبين لنا الإديولوجيا العلمانية للبطلة المستأنسة لمنطق الحرية، ورفض الواقع وثورة على مسلمات الفكر العربي والإسلامي والأعراف العربية والدينية ؛بحثا عن الافضل الذي تراه في تمجيد الغرب وثقافتهم و مفهومهم ونظرتهم للحياة.

[1] – اديلين فيرجينيا وولف (25 يناير 1882 — 28 مارس 1941): أديبة إنجليزية، اشتهرت برواياتها التي تمتاز بإيقاظ الضمير.اتخذت رواياتها المنهج المعروف بمجرى الوعي أو تيار الشعور، كما في "غرفة يعقوب" 1922، و«السيدة دالواي» 1925 و«إلى المنارة» 1927، و"الأمواج" 1931،إشتغلت بالنقد، ومن كتبها النقدية «القارئ العادي» 1925، و«موت الفراشة ومقالات أخرى» 1943. كتبت ترجمة لحياة «روجر فراي» 1940، وكتبت القصة القصيرة، وظهرت لها مجموعة قصصية بعنوان الاثنين أو الثلاثاء 1921، ولقد انتحرت غرقاً مخافة أن يصيبها انهيار عقلي.

[2] – فيكتور ماري هيغو) Victor Marie Hugo :مولد 26فبراير1802 – 2مايو1885 كان أديبا وشاعرا وروائيا فرنسيا، يُعتَبر من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية، وترجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة.أسس ثم أصبح رئيسا فخريا لجمعية الأدباء والفنانين العالمية عام1878 م.

[3] – بوريس فيان Boris Vain (10مارس 1920):كاتب متحرر ومتمرد، شكلت رواياته خطا جديدا للكتابة المتحررة من قل قيد أخلاقي أو ديني أو حتى إنساني من رواياته؛ سأذهب لأبصق على قبوركم . ينظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

فالراية مشحونة بالشخصيات الغربية ،وتكاد تخلوا من الشخصيات العربية. فعندما نقوم بعملية إحصائية بين الشخصيات العربية والغربية نجد أن 99 % منها غربية و1% عربية .

نذكر منها:

العربية: أبو العلاء المعري ،عائض القرني ،شهرزاد . ...

أما الغربية:. ليون بيتون ،خمينيث دالمدوفار، دولاكرو، مارسيل بروست، إيتش باورا ، أنطوني موريس ، مونكا ،ريتشاد ،جاك دريدا ،ألان بو ، فرويد ...

يعكس لنا هذا ثقافة المروي عنه وهي في نظرنا مايختزنه الراوي من ثقافة الكاتب ذاته.

3- إحياء النعرات الجاهلية والتغني بالوثنيات القديمة :

ومن البدع والخرافات التي يستهدفها العلمانيون "إحياء النعرات الجاهلية والتغني بالوثنيات القديمة "[1] كاللجوء إلى الزوايا والتضرع لغير الله ويعتبرونها أماكن مقدسة ،ترتبط بالطقوس الثقافية للمجتمع إيمانا منهم بقدرة الولي على التوسط عند الله لتحقيق رغبة الزائر ويرون أن للولي قدرة على تحقيق الدعاء. يقصده الناس على أمل تحقيق أحلامهم ،ويعتبر هذا كفر وشرك بالله ،وأن هذه الزوايا لترويج البدع والخرافات.

ورد هذا في الرواية : ".....سيدي الخلوي ليس كافر ولي صالح أشفى الكثير ببركاته ،من بينهم أمي التي كانت مقعدة فأصبحت تمشي"[2].

ففي العقيدة الإسلامية دعاء الأموات أو الاستغاثة بهم يعتبر شرك أكبر أما ما قد يحصل لبعض المرضى الذين يتصلون أو يأتون إلى القبور لا حجة فيه لجواز هذا العمل لأن البرء قد يصادف ذلك الوقت بتقدير الله عز وجل فيظن الجاهلون أنه بسبب الرجل الصالح.

[1] – محمد بن إبراهيم الحمد ،رسائل في الأديان و الفرق والمذاهب ،ص611.

[2] – الرواية ، ص 235.

قال تعالى: ﴿وَلا تَدعُ مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظّالِمينَ ۝ وَإِن يَمسَسكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ يُصيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَهُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ ﴾.[1]

فالزوايا هي أحد الطرق الصوفية التي يستطيع العلمانيون استغلالها وتمرير أفكارهم عبرها وهو تيار حداثي غربي يقول أحدهم : "ينطلق هذا التيار من منطلق أن البيئة الصوفية هي أفضل البيئات الإسلامية لتقبل قيم الحضارة الغربية الوافدة نظرا لما تتشبع به هذه البيئة من قيم التواكل و التغافل والتخاذل عن الدنيا".[2]

فهذا التغافل والتخاذل عن الدنيا يجعل منهم منعزلين عن العالم الخارجي مما يسهل التأثير عليهم بالأفكار العلمانية والموالاة للحضارة الغربية ، مع جعل بعض من فئات المجتمع يؤمنون بهذه المعتقدات بسهولة ويتم قبولها بطريقة شرعية .

[1] – سورة يونس ،الآية 106-107.

[2]– طارق عبد السلام لعجال ، التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي ، وكالة الأنباء الإسلامية ،2008 ؛ص 2.

المبحث الثاني : صراع العلمانية مع الدين.

1- الاسلام معدل على مزاج العلمانية:

- يسعى الغرب إلى أن يتصبغ الفرد المسلم بأفكارهم ، ويبتعد عن دينه ويعدل عن سلوك الصراط المستقيم ،وهذا ما نجده مسيطر على المجتمعات العربية تحت شعار التطور و الإنفتاح على الآخر.

بهذه الوسائل وغيرها بسطت العلمانية نفوذها في كثير من بلدان المسلمين، فمن مبادئها أنها تسعى إلى نشر أفكارها ومبادئها لدى المسلمين وإن كان ذلك بطرق غير مباشرة .تشكيل إسلام جديد معدل وفق المقاييس العلمانية، بحيث يفرغ من عناصر القوة والتميز الذاتية التى تجعل له مكانة كبيرة في قلوب أتباعه وربما يكون في أول من رصد مثل هذا التوجه هو سيد قطب رحمة الله عليه في كتابه دراسات إسلامية تحت عنوان "إسلام أمريكاني"[1] نجد بين ثنايا الرواية أن الشخصيات متأثرة كثيرًا بالفكر الغربي ومن هذا تكوين ياما ومجموعة من الشباب معها لفرقة " سميناه ديبوجاز ، لأن كلمة " ديبو" تعني المخزن في اللغة الفرنسية، وجاز مرتبطة بعملنا الفني"[2] كما قالت ياما.

وموسيقى الجاز : (الموسيقى) موسيقا راقصة من أصل زنجي أمريكي تجمع بين النّغم المستمر والنّغم الموقع المنقطع موسيقى الجاز: جوقة راقصة تميز بها الأمريكيون السّود.

حاولت ياما وشباب أعضاء الفرقة مقاومة الموت بالموسيقى، حيث كان يمثل مخزن الجاز فضاء لترويح عن النفس تبعد في إطار الشخصية شبح الوحدة والعزلة التى ولدتها الحروب ومخلفاتها فنجد بطلة الرواية "...ديبوجاز هي بيتي و ذاكرتي ..." مما يدل على التعلق الشديد بهذا المكان، وكذلك الفن الذي يمارس فيه فعلاقة "ياما" علاقة إنتماء و إتصال بهذا الفن و الفرقة فمرارة الحرب الصّامته ، هى مغاير لواقع الموت اليومى و الإنتصار عليه ، لقد كانت الفرقة بالنسبة لهم الملاذ الوحيد للهروب من الواقع ومقاومة الموت."كانت فرقة ديبوجاز Dépo_ jaz مكونة من سبعة شباب مولعين بحاضرهم وبعطر المدينة "[3] يتجسد هنا تصبغ الشباب العربي المسلم بصبغة العلمانية ، فبدل أن

[1] - السيد قطب، دراسات إسلامية، ص119.

[2] - الرواية، ص15.

[3] - نفسه، ص 14.

يهرب الشباب من الحرب والموت إلى دينهم و ربهم نجدهم يلجؤون إلى الموسيقى "موسيقى الجاز ذات أصل أمريكي " متأثرين بمراذل الغرب،و أفكارهم ،إذ وجدو في هذه الموسيقى راحتهم وملاذهم وسكينتهم وهذا ما يعكس تأثر الشباب بالفكر الغربي و إبتعادهم عن دينهم ، بتخليهم عن قيمهم و مبادئهم فهم مسلمين ولكن بفكر غربي أي "إسلام أمريكاني".

حتى إن إسم الفرقة سرعان ما انتشر وعلق في رؤوس عشاق الموسيقى ، تقول ياما " تنقلنا كثيرًا عبر مدن الجمهورية بما فيها مدينتنا، أحيينا نشاطات كثيرة . يبدو أن إسم الفرقة علق بسرعة في رؤوس عشاق الموسيقى في زمن الخوف ، بالخصوص الشباب ..."[1]

تعلق الشباب بالموسيقى بدل رجوع إلى الله وإلى دينهم الإسلام من هنا يصبح هذا الإسلام منزوع الثوابت والقيم إسلامًا متصالحًا مع العلمانية ، وعلى هذه القراءة يؤسس العلمانيون دعواهم بأن الإسلام دين علماني بطبيعته، متطور ومتغير بعُلى مصلحة الإنسان فوق مصلحة المقدسات.

2- الاسلام منزوع القداسة:

من ثمار العلمانية الخبيثة التى تسعى إلى نشرها وزرعها في عقول ونفوس البشر وخاصة المسلمين منهم هي محاولات إفراغ الإسلام من قداسته ،فيبقى ولكن خاويًا من مضمونه الذى جعل له مقامًا عاليا ومقدسًا في نفوس أهله .

فهي تسعى لإنحراف المسلمين عن دينهم،و عدولهم عن سلوك الصراط المستقيم وتشكيكهم في مسلمات دينهم وقد تجلى هذا الطرح الملحد في أكثر من مقطع في الرواية منه ما جاء على لسان "ياما" :"أختفي في عمق الفيسبوك، بحيث أرى كل شيء و أثناع الجميع، ولا يراني أحد لو منحنا الله فضل رؤيتة لما حمل سر الخوف والرهيبة قد يصبح صديقا جميلا ، نغضب منه ولا يلتفت نحونا .جميل أن الله فكرة "[2] يتجلى في هذا الطرح تجاوز "ياما" للمسلمات و القيم الدينية فتشكيك ياما بدينها الإسلام و مسلماته جعلها تطرح هذا التساؤل " لو منحنا الله فضل رؤيته " فهي تعلم أن الله

[1] – الرواية، ص 15.

[2] – نفسه، ص58.

محجوب عن رؤية البشر لقوله :"لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[1] فلا يرى في الدنيا ؛ لأن رؤيته نعيم و هذه الدار ليست دار النعيم. إن النزعة التي تحملها ياما بتشكيك بالمسلمات الجاهزة جعلها ترفض المعلوم حتى من الدين فمن خلال كلام "ياما" نجد أن وعيها بالعقيدة والدين خاويا من مضمونه الذى جعل له مقامًا مقدسًا و عاليًا في قلوب إتباعه وتشكيك في مسلمات الدين .

إذ يطرح هذا الوعى القائم على مستوى العقيدة ، مقتضيات جديدة تتعلق برؤية الكون بدءً من الذات الإلهية إذ يدفع الوعى الفعلي للشخصية إلى الإعتقاد بأن الله مجرد فكرة ؛ كون الله فكرة لا ذاتا. يصل جهل ياما إلى تشكيكها في الله تعالى عز وجل عن هذا فهي تتعارض مع قيم الإيمان في الدين الإسلامي وتتوافق في طرحها مع المعتقد المسيحي .

تشكيك في وجود الله ،وقد دل على وجوده الفطرة، والعقل، والشرع، والحس، أما دلالة الفطرة. فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه، من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة، إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا مِن مَولُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَو يُنَصِّرَانِهِ، أَو يُمَجِّسَانِهِ"، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيرَةَ: "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ"[2].

تتناقض ياما حتى في طرحها فهي تتساءل ، "في ما لو منحنا الله فضل رؤيته"ثم تعود لتقول "جميل أنّ الله فكرة " الإعتقاد بأن الله فكرة لا ذاتًا، يتجلى لنا هنا، تقلب فكر "ياما" بين الإيمان المزعزع و التشكيك في مسلماته وبين الكفر به.

3- التلون بلون الشرع الإسلامي:

تشويه التاريخ الإسلامي، و إبراز الجوانب السلبية منه، مع كتمان الجوانب المشرقة المضيئة بهدف قطع حاضر الأمة عن ماضيها هي إحدى الوسائل التي تسعى العلمانية من خلالها إلى نشر مبادئها ، ومن هذه المبادئ إلباس الدعاوي العلمانية لباس التأصيل الشرعي و الإجتهاد العلمي، وتجلى ذلك من

[1] – سورة الأنعام ، الآية 103.

[2] – صحيح البخاري، برقم (1359)، صحيح مسلم، برقم (2658)، ينظرhttp://www.alukah.net.

خلال، أنسنة القرآن ، والقول بتاريخه الدين الإسلامي ونفى القيادة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم، وطعن في الصحابة والتابعين بإسم الموضوعية .

تعلق "ياما" حول إسم "الزبير" تقول :

" جنوني قادني إلى البحث في حياة الزبير بن العوام .الأسدي القرشي عرفت مثلا أنه ولد 594 م و توفي 656 م ما يعنيني بعميلة حسابية بسيطة أنه عاش 62 عام .كنت أريد لوالدي حياة أطول وأجمل ... وجدت معلومة أخرى أنبتت الشوك في لحمي ،وأعطيني كل المبررات لتغيير اسم والدي.كان الزبير بن العوام من أمهر و أفضل الفرسان في زمانه... قطع الرأس في لمح البصر واووووووو لا كنت أريد لبابا زبير حياة أخرى أهدأ و أنعم غير حياة الحروب التى يكرهها ".[1]

يتأكد لنا من خلال هذا المقطع توجه الشخصية البطل إلى نقص و تشكيك في بنيان عقدية تتعلق بصحابة –رضى الله عنهم– فهي ترفض الجهاد وفق المنظور الإسلامي، كما ترفض الشهادة في سبيل الله .

و تعبر"ياما" عن ذلك صراحة بقولها " أكره الإستشهاد " وتفضل بدله حياة أطول ، و أجمل ومصيرًا آخر وهذا ما يؤكد تبني ياما لأفكار ومعتقدات غربية إضافة على حكمها على حياة الصحابي ضمنيًا . عبر تمنيها عمرًا أطول ، حياة أجمل و أفضل لوالدها "زوربا" .تقول "ياما" :

"لكنني لا أريد أن يكون والدي الزبير بن العوام لا أكره هذا الصحابي الجليل أبدًا ولكني أكره الإستشهاد و أمقت الدم . ماذا جنينا من وراء ذلك كله؟ لا شيء سوى حزن كبير وغير رحيم ".[2]

تطلعنا شخصية "الزبير بن العوام رضى الله عنه"التى تبين موقف "ياما" من الاسم الذي أطلق زورًا بوالدها "الزبير" كما تقول ، وقد قامت بمقارنتها بشخصية ورقية أدبية هي شخصية "زوربا" بطل الرواية "نيكوس كازانتزاكي" وهذا ما بين لنا أزمة لتلقى من خلال عرض صورة الصحابي كمقاتل عنيف يصنع الموت المقدس؛ نظير حياة غيبية أخرى ،في حين تعرض صورة "زوربا" الورقية –

[1]– الرواية، ص 98–99.

[2]– نفسه، ص 102.

شكلا،الواقعية فكرًا-، في شكل صورة الإنسان المحب و الطموح والمقتنص لكل ما يشبع فهمه من ملذات نهمه من ملذات الحياة .

فضلت لأبيها أن يكون راقصا ومهبولا على الحياة ، ويشد عليها بأظافره وأسنانه ، على أن يكون مكرما بإسم صحابي جليل ومجاهدا في سبيل الله عز وجل .

فالجهاد روح الإسلام، وهو أصيلٌ في هذا الدين، بل هو أصيلٌ في كلِّ دينِ قبلِه، فكلُّ نبيٍّ جاء بالجهاد، وكل كتابٍ من كتب الله يحثُّ على الجهاد، ويُرغب المجاهدين فيه ، و يعدهم بالجنة .

ودليل هذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾.[1]

تنص الآية على أن الله طالب المؤمنين بالجهاد، ووعدهم الجنة مقابل ذلك ، وأخبرهم أنَّ ليس في القرآن فقط، وإنما هو في التوارة و الإنجيل أيضا[2].

4- إضعاف الديّن في القلوب وعزله عن الحياة :

– ومن أهداف العلمانية إضعاف الدين وإقصائه على جميع الأصعدة الحياتية وإفراغه من قداسته، ويعملون أيضا على التحريف والتشكيك في الآيات القرآنية وذلك "وفق تفسير القرآن ونصوص الشرع تفسيرا عصريا بحسب ما يروق لهم و يناسب أهواءهم "[3] ، معتقدين أن تدخل الدين يفسد الأمور الحياتية ويعيق مسيرتها يقول حبنكة الميداني في هذا الموضوع : "أما تدخله في شؤون الحياة الدنيا فهو تدخل يفسدها ويعوق مسيرتها وتقدمها و ارتقائها"[4] . فالدين أصبح عائق أمام رغباتهم الدنيوية.

ويتجسد التشكيك في الذات الإلهية والطعن في الآيات القرآنية ما ورد على لسان فريجة: "الطيبون ليسو للطيبات والطيبات لسن للطيبين. يبدوا لي أن العكس هو الصحيح البليد للذكية والبليدة

[1]– سورة التوبة، الآية111.

[2]– د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ، صور من جهاد الصحابة ، دار القلم، سوريا، دمشق،طبعه3، 1430 هـ.2009م ، ص 11.

[3] – محمد إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والمذاهب، ص616.

[4] – حنبكة الميداني، كواشف زيوف، ص164.

للأذكى والأجمل"[1]، هذا يحرف تماما قول الله تعالى:﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2] .كما تتضمن ضمنيا كفرا صريحا يتخطى الذات الإلهية ومقارنتها بالطبيعة الإنسانية .

هكذا يتم خدش الدين وتحريف الآيات القرآنية ،تحت مسمى التفسير العصري للقرآن. فالمعاصرة التي مست الكتاب المقدس لا يمكن أن تحرف القرآن لأنه محفوظ من عند الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[3].

ومن التشكيك في الذات الإلهية إلى التشكيك والطعن لحرمة المقدس الأنبياء و الرسل وذلك بالتهجم على السنن النبوية و حملهم للرسالة الإلهية و لنكرانهم وجود محمد صلى الله عليه وسلم ؛فلا تصدر هذه الفكرة إلا عند غير المسلمين كاليهود والنصارى أو بعض العوام الجهلة ،الذين لا يدركون ولا يفقهون للدين فاليهود والنصارى لا يؤمنون بهذه الفكرة ، وقد ذكر في الإنجيل كنبي يرث جميع الأنبياء وهذا

ما أكدته الكتب المقدسة .

عندما نعود إلى الرواية ونبحث عن تكذيب وتشكيك في وجود محمد صلى الله عليه وسلم ،ويتمظهر عيانا في قول "فريجة" في حوارها مع ميرو المصور"هل رأيت رسولا يأتي برسالة خير للناس ويسلمها لغيره من الأنبياء الوهميين"[4] .

ونظرا لديانة فريجة المسيحية ومعتقداتها الدينية فإن ذلك يدفع بها إلى التشكيك في الحقيقة التاريخية لوجود محمد صلى الله عليه وسلم .

لذلك نجد أنصار الفكر العلماني ينشرون الأباطيل والخرافات التي تسيء إلى عقل المسلم ويغلطونه بوجود حاملي الرسالة السماوية ؛ فوجود محمد صل الله عليه وسلم كل العقائد والكتب السماوية تثبت ذلك

[1] – الرواية، ص158.
[2] – سورة النور، الآية 26.
[3] – سورة البروج، الآية 21–22.
[4] – الرواية، ص159.

قال تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

كما نجد أيضا في الرواية التعامل الفض مع الأنبياء وإلصاق التهم بهم ووصفهم بأشياء رذيلة، ذكر في الرواية آدم و خروجه من الجنة بسبب التفاحة في القول "التفاحة ملساء مثل وجه بيه بريق لكن بلا روح ، عندما أخرج آدم من الجنة بسبب التفاحة ونزل نحو أرض جرداء لا زرع فيها .فتحت أمامه حواء برتقالة أدخلته جنة اللذة التي لم يشعر بها أبدا من قبل .يفترض أن يقال تفاحة آدم وبرتقالة حواء في هذه الحالة عندما أكل منها شبع من لحمها وإرتوى من مائها كان يمكن أن يموت بدونها"[2] .

فهو يشبه البرتقالة بحواء أو بالمرأة بصفة عامة؛ يعني أن في تناولها شيء من اللذة كما يقول لب البرتقالة الحياة كلها ومائها الذي يحرك فينا حواسنا ؛فيرى أن سبب خروج آدم من الجنة هو التفاحة التي لا حياة فيها ، وأن آدم متعطش لهذه اللذة فأكل التفاحة وأخرج من إلى الأرض ليتمتع بالبرتقال.

فهذا السرد غير الأخلاقي ،تشكيك في المسلمات العقائدية لقصة سيدنا آدم عليه السلام ،والقصة الحقيقة معروفة في القرآن الكريم ليس كما ذكرها هو ،أن الشيطان وسوس لهما و أغواهما فأكلا من الشجرة التي نهاهما عليها الله ،فغضب عليهما ربهم وأخرجهما من الجنة قال الله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۚ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3].هذه الآيات جاءت تبين سبب خروج آدم عليه السلام من الجنة وليس كما قيل عنها في الرواية ؛هكذا يعمل العلمانيون على تشويه صورة الإسلام والأنبياء والرسل ،يقدمون فكرة للإنسان المطلق المتحرر من أي قيد إلهي والمتسبب في مس مقدسات أمة بأكملها .

[1] – سورة آل عمران، الآية 144.

[2] – الرواية، ص246.

[3] – سورة البقرة، الآية 35-36.

خاتمـــة

خاتمة

ونحن نقف عند نهاية البحث لتقييم المسار الذي قطعناه ، يجدر بنا الاعتراف أن خاتمة هذا البحث ليست نهايته ، و إنما تبقى أسئلته الكثيرة مفتوحة للبحث والتحري ، وما وصلنا إليه إلا حلقة في سلسلة البحوث الأدبية التي تهتم بدراسة الرواية .

ومن جملة ما يمكن استخلاصه بعد تحليلنا لأهم العناصر وجوانب البحث ننتهي إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها كما يلي :

- تشابك وتداخل وتشعب مفهوم الأيديولوجيا لعلاقاته مع العديد من الظواهر، إذ يصعب تحديد مفهومها ،فلا يمكن أن نحدد مفهوم جامع مانع لها ،إلا إذا حددنا المصدر وحصره في المعنى المراد له، فهي تتنوع بتنوع مشاربها .

- هناك علاقة وطيدة بين الأيديولوجيا والرواية ،إذ تعتبر الرواية كأيديولوجيا ،و الأيديولوجيا العنصر الرئيسي لتكوين هاته الرواية ،فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية ،لا يمكن أن تقوم الواحدة على غرار الأخرى.

- مفهوم العلمانية نشأ إبان عصر التنوير و النهضة في أوروبا ،في مواجهة الكنيسة ، وعارض سيطرتها على الدول وعلى المجتمع ،وكان ذلك إثر الحروب الدينية والنزاعات السياسية التي ميزت القارة الأوروبية.

- العلمانية بدأت في أوروبا ، وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية (1789)ثم عمت أوروبا في القرن التاسع عشر ،وبعدها انتقلت لتشمل دول العالم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير .

- من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في أوروبا هو التحريف في أصول الدين ،وتسلط رجال الكنيسة دينيا واقتصاديا وسياسيا حيث كانت الكنيسة تفرض سلطتها على المجتمع والدولة.

- يعتبر مصطلح العلمانية حديث النشأة أول ظهور له كان في المعاجم الغربية إذ تم ترجمته للعربية بمعنى العصر وتطور المصطلح في ما بعد إلى العالم، .

– إن دخول العلمانية للعالم الإسلامي كان على العديد من الطرق ،أهمها على طريق البعثات العلمية نحو الخارج وجهل بعض الفئات لأصول الدين و الشرع الإسلامي،إذ تغلغل في أوساط المجتمع ونتج عليه الكثير من الآثار السلبية التي تمس العقيدة الإسلامي.

– تعتبر رواية مملكة الفراشة للكاتب الجزائري واسيني الأعرج مثالا حيا على هذا الحراك الأدبي و التي من خلالها حاولنا الوقوف ، على أهم عتبات العلمانية المتجلية في الأوساط العربية ،وقد خلصنا إلى النتائج الآتية :

– إن هذه الرواية تسجل ضمن الروايات التي تحمل طابعا فكريا للمذهب العلماني ،بحيث تبرز أيدلوجية الكاتب العلمانية.

– جاءت هذه الرواية لتعبر ولتجسد بعض المظاهر العلمانية في الواقع العربي ،بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة ، وقد أتقن الكاتب سرد وإظهار المعالم الكبرى لهذا الاتجاه.

– من خلال الرواية نذكر الكثير من المظاهر المذهب العلمانية والتي جسدها الكاتب بالعديد من الطرق:

- ✓ تحريف الحقائق في محاولة تمرير أفكار العلمانية وإستخراجها من الدين الإسلامي.
- ✓ من خلال الشخصيات :نجد جل شخصيات الرواية معتقدة بهذا الفكر ،و تؤمن به فيتجلى ذلك من خلال انفتاحهم الثقافي على الآخر والأخذ منه و مواكبة التقدم الحضاري،بحيث يؤثر فيهم ،مما جعلهم يقلدونهم في ثقافتهم و حضارتهم .

ومن خلال شخصيات الرواية أيضا يتبين لنا ،مبدأ آخر من مبادئ العلمانية وهو إعمال حرية العقل والتشكيك والطعن في كل المسلمات ،فنجدهم يحرفون قول الله ، ويشككون في وجود الأنبياء والرسل و الطعن في حق الصحابة الكرام .

- ✓ كما يتبين لنا الرواية،مبدأ آخر من مبادئ العلمانية وهو إعمال حرية العقل والتشكيك والطعن في كل المسلمات ،فنجدهم يحرفون قول الله ، ويشككون في وجود الأنبياء والرسل و الطعن في حق الصحابة الكرام .
- ✓ حرية الأديان أو تداخلها وتفريغ الدين الإسلامي من قداسته .

- ✓ الدعوة إلى التحرر و الانغماس في مباهج الحياة .
- ✓ يقدم الفضاء الروائي في رواية مملكة الفراشة مستويات متنوعة من الانفتاح ضمن تقاطبات مكانية تبين مدى انفتاح العرب على الغرب كوجود البارات والمسارح الكبرى والكنائس ...

وفي الأخير يمكن القول إن مجال البحث في هذا لموضوع يبقى مفتوحا أمام المزيد من الإسهامات والقراءات الجديدة التي تتجاوز الحدود التي توقفنا عندها.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر و المراجع

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم .

2- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم (تفسير إبن كثير) (ط.طيبة) ،تح ، شامي بن محمد السلامة، ج5.

3- واسيني الأعرج، رواية مملكة الفراشة ، دار الصدى، الإمارات العربية المتحدة، دبي ، ط1، 2013م.

ثانيا: المراجع:

1- إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، تشكل النص الروائي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الكتاب، الجزائر، ط1، 2005.

2- أحمد فرج السيد ، جذور العلمانية، دالر الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة،ط1، 1985م.

3- أنور الجندي، سقوط العلمانية، د.ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د، س.

4- برتراند راسيل، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، تاريخ الفلسفة الغربية- الكتاب الثالث، المصرية العامة للكتاب، بدون رقم طبعة، 1977م.

5- د. محمد إدريس الطحان ، العلمانيون والقرأن الكريم، دار أبن حزم، الرياض، ط1، 2007م.

6- د.أحمد عبد الحليم عطية ،دار الفراضي ،بيروت ط1، 2010م.

7- د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ، صور من جهاد الصحابة ، دار القلم، سوريا، دمشق،طبعه3، 1430 هـ.2009م.

8- د.عبد الوهاب المسيري- د.عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 2000م.

9- د.عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، دار نهضة ، مصر، القاهرة، ط1، 1998.

10- د.عمارة،الشرعية الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط1، 2003م.

11- د.محمد ادريس الطحان، العلمانيون والقرآن الكريم، الرياض، ط1، 2007م.

12- د.محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط1، دار الدعوة، الكويت، 1417هـ، 1996م.

13- د:سعد الدين سيد صالح، أخذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط2، دار الأرقم، الزقازيق، 1413هـ، 1993م.

14- سعيد نبكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، ط1، 1996م.

15- سفر الحوالي، العمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ط1، دار مكة للطباعة والنشر، نشر جامعة أم القرى، 1402هـ.

16- سوزان حرفي، حوارات مع عبد الوهاب المسيري،العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر، ط1،دمشق، 2009م.

17- سيد القطب دراسات إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 2002م.

18- صالح الرقب، واقعنا المعاصر، الجامعة الإسلامية ،فلسطين، غزة، ط7، 2004م .

19- صلاح الصاوي، موقف الإسلام من العلمانية، ط1، 1427هـ، 2006م.

20- طارق عبد السلام لعجال ، التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي ، وكالة الأنباء الإسلامية ،2008م.

21- عباس محمود العقاد ،إبن رشد، دار المعارف، القاهرة،ط6، بدون تاريخ نشر.

22- عبد الدويهيس، العلمانية منبع الضياع، ط1، محرم1430هـ، يناير 2009م.

23- عبد الرحمان حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط3، دار القلم، سوريا ، دمشق، 1419هـ

24- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط7، 2003م.

25- عبد الوهاب المسيري ، نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر،بحث للدكتور ضمن مجموعة أبحاث في كتاب بعنوان نيتشه وجذور مابعد الحداثة "ضمن سلسلة أوراق فلسفية" ،تحرير د.أحمد عبد الحليم عطية ،دار الفراضي ،بيروت ط1، 2010م.

26- عبد الوهاب المسيري ،العلمانة والحداثة والعولمة ، دار الفكر ،دبي، ط1 ،1434هـ ،2013م.

27- عبد الوهاب المسيري ،العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي،دار الفكر ،دمشق،ط1، 2009م.

28- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط1، دار الشروق،مصر، القاهرة، ج1، 1423هـ، 2002م.

29- على جريشة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 1990م.

30- قادة بوتارن .الأمثال الشعبية الجزائرية ، تر:حاج .صالح عبد الرحمان ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

31- لحمداني حميد، النقد الروائي والإيديولوجي، من سوسيولوجيا الواقع إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

32- محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، 1426/09/09هـ، الزلفي11932، ب:460.616/615.www.Toislam.net.alhamad@toislam.net

33- محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، ، دار الوطن، الرياض ،ط1، 1411هـ.

34- محمد على بار، العلمانية جذورها و أصولها ، دار القلم، سوريا، دمشق ، الطبعة الاولى، 1429هـ،2008م.

35-محمد قطب- ، مذاهب فكريه معاصره ، دار الشروق ، مصر، القاهرة ، ط 9 ،2001 م.

36- محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981.

37- منى محمد الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن، دار اليسر، القاهرة، ط1، 129هـ.

38- ناصر بن عبد عبد الله القفاري ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

39- ناصيف نصار، طريق الإستقلال الفلسفي، سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع دار الطبيعة الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1975.

40- نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط4، 2004.

41- نورهان كانتور،العصور الوسطى الباكرة ،ترجمة وتعليق قاسم عبد القاسم،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،دط، دت.

42- ول ديوارانت، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران، ج16، دارالجيل، بيروت، لبنان.

43- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلملنية وجها لوجه، مكتبة وهيبة، مصر، القاهرة، ط7، 146هـ ، 1996م.

ثالثا: المعاجم

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نش،ج2.

2- ابن منظور، لسان العرب ،(تح) عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر، القاهرة،1119، ص1383..

3- بطرس البستاني، محيط المحيط، (بيروت/1867م).

4- خليل توفيق موسى، معجم الإرشاد(معجم معاصر)، دار الإرشاد للنشر، ط1، 2001م.

5- د.مؤنس رشاد الدين، قاموس المرام في المعاني والكلام، دار الراتب الجامعية، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.

6- المعجم العربي الإنساني، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب بتكلف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بدون تاريخ النشر ورقم الطبعة.

7- منير البعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي-عربي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط37، 2003م.

رابعا: المجلات و الموسوعات :

1- إعداد الندوة العالمية للشباب المسلم، إشراف د: مانع الجهني الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية .

2- محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، 1426/09/09، الزلفي1193.

خامسا: المراجع باللغة الفرنسية :

1- Oxford Advanced Learner's Dictinoary، Oxford University Préssfourthedition .1989.pg.1143."secular not concerned with spiritual or religious ، wordly .. secularism; belief that morality ; education ; et should not be based /on religion.

سادسا: المواقع :

1- ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

2- WWW.goodreads.com.

3-http://www.alukah.net

فهـــرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
ملخص البحث.	
خطة البحث.	
مقدمة.	أ
المدخل :الإيديولوجيا و الرواية.	**5**
الفصل الأول:العلمانية: الماهية-المناخ-الآثار.	
المبحث الاول: مفهوم مصطلح العلمانية و تطوره.	**12**
1- ماهية العلمانية.	**12**
1- لغة.	**12**
2- اصطلاحا.	**14**
2- العلمانية بين أزمة المصطلح وتطور المفهوم.	**20**
1- أزمة المصطلح.	**20**
2- تطور العلمانية من حيث علاقتها بالدين.	**21**
المبحث الثاني: مناخ العلمانية	**25**
1- نشأة العلمانية.	**25**
2- أسباب دخولها إلى العالم الإسلامي.	**31**
3- مبادئها.	**34**
المبحث الثالث: وسائلها وآثارها.	**38**
1- وسائل العلمانية في نشر مذهبها.	**38**
2- آثار العلمانية على الغرب.	**41**
3- آثار العلمانية على العالم الإسلامي.	**44**

الفصل الثاني: حظور العلمانية في رواية مملكة الفراشة.	
المبحث الأول: العلمانية ومنتجاتها الفكرية.	**48**
1- تحريف الحقائق .	**48**
2- القيم والسلوكات متوائمة مع الحياة المعاصرة.	**53**
3- إحياء النعرات الجاهلية وتغني بالوثنيات.	**64**
المبحث الثاني: صراع العلمانية مع الدّين.	**66**
1- الإسلام معدل على مزاج العلمانية.	**66**
2- الإسلام منزوع القداسة.	**67**
3- التلون بلوّن الشرع الإسلامي.	**68**
4- إضعاف الديّن في القلوب وعزله عن الحياة.	**70**
الخاتمه	**74**
قائمة المصادر والمراجع	**78**
فهرس الموضوعات	**85**

تم بحمد الله.